مَفْهُومُ الدِّينِ ومَقَاصِدُهُ في القُرآنِ الكَرِيم

دكتور/ عبدالله أحمد مبارك باوادي
أستاذ العقيدة والأديان المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة الملك خالد
المملكة العربية السعودية

المقَدِّمَة

يعتبر القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الوحيد الذي لازال له حق الثبوت كمصدر موثوق في مجال دراسات علم الأديان في العصر الحاضر، بل يعتبر له حق المصداقية في معرفة تاريخ الأديان السابقة وحال أتباعها وأممها وأنبيائها ورسلها؛ وذلك لما تميَّز به القرآن الكريم عن سائر الكتب الإلهية السابقة كالتوراة والإنجيل في الثبوت والثقة بمصدره الإلهي والحفظ من التغيير والتبديل والتحريف في نصوصه وأحكامه وتشريعاته؛ فالقرآن الكريم هو كتاب الله تعالى ونقل إلينا بالتواتر والسند المتصل من مصدره الأول وحفظ من التغيير والتبديل والتحريف على مر عصوره. إضافة إلى تميّز القرآن الكريم في تعامله المنهجي والموضوعي مع الأديان وأتباعها، تمثَّلت في منهجية ربانية عادلة وموضوعية منصفة وواقعية واضحة المعالم والأحكام.

ولا شك أن التعرّف على مفهوم الدِّين في القرآن الكريم يعتبر اللبنة الأولى في فهم تلك المنهجية؛ فالحكم على الشيء فرعٌ عن تصوّره. ومن خلال البحث والاستقراء عن مفهوم الدين ومقاصده في القرآن الكريم تبيَّن للباحث أن القرآن الكريم توسّع في استعمال عدّة معانٍ لغوية للدين، فجاءت آياته لتؤكد على أصالة هذه الكلمة في اللغة العربية، وأنها ذاتُ جذور عربية أصيلة وليست كلمة دخيلة من ثقافات أجنبية أخرى كما يَدَّعى بعض المستشرقين.

كما توسّع القرآن الكريم في المفهوم الاصطلاحي للدين ولم يقف عند حدّه اللغوي؛ بل شمل معانٍ أخرى لها دلالات عميقة في فهم الدين بمعناه الواسع. حيث سَبَقَ القرآنُ الكريم النظريات الاجتماعية والدينية الحديثة في الإجابة عن أصل الدين ومنشأ التديّن لِيُصرِّح بأنَّ الدين مصدره إلهي، وتديّنه فطري جِبِلّي في النفس البشرية. وأن الأصل

الذي خُلِقت عليه البشرية هو دين التوحيد وإفراد الخالق بالعبادة وأن الشرك والوثنية ما هما إلا انتكاسة للفطرة الإنسانية ودناءة في تفكير العقل البشري.

إنَّ الدينَ الحقِّ الذي أكّد عليه القرآن الكريم وركّز على الاهتمام به والدعوة إليه والتوضيح لعقيدته وشريعته هو دينُ الإسلام الذي بَعَثَ الله به أنبيائه ورسله وأنزل به كتبه، وأنزله من عنده سبحانه وتعالى. وهو الدين الخاتَم والمقبول عند الله تعالى والذي نَسَخَ به كلَّ الملل والأديان والشرائع السابقة ولا يقبل من أَحَدٍ ديناً غيره وهو دين خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ. وأن أي دين أو ملّة لا تدين بذلك ولا تنتسب إليه فهي ملّةٌ باطلةٌ ودينٌ باطلٌ مردودٌ على صاحبه.

كما خصَّ القرآنُ الكريم الدينَ بخصائصَ وصفات تميَّزه عن غيره من الأديان بأنْ خصَّه بنفسه الشريفة فَنَسَبَهُ إلى نفسه فسَّماه "دين الله" ليدل على اختصاصه به وتميّزه بالتشريف والتعظيم دون غيره. كما خصّه بأنه دين الحنيفية السمحة النقيّة من الشرك والوثنية، وأنه دين الإخلاص لله تعالى في كل الأعمال الظاهرة والباطنة. ودين الحق الذي شملت أحقيّته عقيدته وشريعته وآدابه وأخلاقه وكل ما جاء به ودعا إليه.

ولأن الله تعالى حكيمٌ عليم، منزّهٌ عن العَبث والخَلْق سُدى، لم ينزّل الدين من عنده إلَّا لمقاصد جليلة، ومعانٍ نبيلة، وحِكَم سديدة تمثَّلت في مقاصده التي أُنْزِلَ من أجلها؛ كمَقْصَد الألوهية القائم على إفراد الله بالعبادة والتوحيد؛ ومقصد العبودية الذي يدعو إلى الخضوع والتذلل والطاعة للمعبود الخالق وحده لا شريك له. ومَقْصَد الحاكميَّة القائم على إنِ الحُكْمُ إلَّا لله وله الخلق والأمر يحكم بما شاء لا معقّب لحكمه سبحانه وتعالى. ومَقْصَد الإصلاح والنَّهي عن الفساد بكل صوره وأشكاله، والدعوة إلى إصلاح الإنسان وإعمار الكون والحياة.

إن الحديث عن مفهوم الدين ومقاصده في القرآن الكريم يعطينا دلالة على فهم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾ [الإسراء]، حيث يخبرنا تعالى عن شرف القرآن وجلالته وأنَّه ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ أي: أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره. ولا تستطيع الأمة أن تُعيد مجدها وحضارتها إلا بأن تجعل من القرآن أَقْوَمُ لها في عقائدها وشعائرها وتشريعاتها وفي نهضتها الفكرية والمادية والاجتماعية.

ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث ليسلّط الضوء على "**مفهوم الدين ومقاصده في القرآن الكريم**" ويبرز هذا الجانب المعرفي والفكري في القرآن الكريم، ويؤكد على

أهمية الاهتمام بدراسة القرآن الكريم دراسة موضوعية شاملة، والتأمل والتدبر في آياته ومعانيه، والاهتمام بدراسة موضوعاته ومباحثه. واعتمدت في البحث على جمع المادة العلمية من القرآن الكريم بدرجة أساسية وما جاء في تفسير الآيات من أقوال المفسرين القدامى والمعاصرين والاستشهاد بآرائهم واجتهاداتهم، مع الاستعانة بأقوال أهل اللغة والدراية بمعاني الفاظ غريب القرآن، وما سطّره العلماء المعاصرون من إبداع أقلامهم وتدبرهم في الآيات، مع إضافة ما رأيته مناسباً من تعليقٍ وشرحٍ وتدبرٍ لمعاني الآيات. وفق منهجية علمية تقوم على الاستقراء والتحليل والاستنتاج والموضوعية في دراسة وبحث الموضوع. وقد تناولت هذا الموضوع في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

في المقدمة تناولت خلاصة مباحث البحث وأهمية دراسته، ودواعي الكتابة عنه والمنهجية التي اعتمدتها في دراسته. وأما المباحث فهي:

المبحث الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للدِّين.

المبحث الثاني: المفهوم العام للدِّين في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: مقاصد الدِّين في القرآن الكريم.

وأما الخاتمة فقد أفردتها بنتائج البحث والدراسة. وفي الختام أرجو أن يساهم هذا البحث في الحث والتشجيع على الاهتمام بالدراسة الموضوعية للقرآن الكريم، وعلى التأمل والتدبر لمعانيه، والتنقيب عن كنوزه ودُرَرِه، والعناية بمعانيه واستنباط أحكامه ومقاصده. وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة وأن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره والله ولي الهداية والتوفيق والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

التّعريفُ اللُّغوي والاصْطَلاحي للدِّين

"الدِّين" كلمةٌ موغِلةٌ في تاريخ الإنسانية وذات أبعاد فلسفية وميثولوجية، ارتبط بثقافات وحضارات بشرية، تنوّع فيها مفهوم الدِّين ودلالاته ومصدره وباعثه باختلاف البيئات التي نشأ فيها، بحيث أنه لم يعد ديناً سماوياً في كثير من حالاته في عصور البشرية. بل استطاع الإنسان بما يحيط به من بيئة وطبيعة وظروف حياتية أن يخترع أدياناً بشرية وضعية اهتدى إليها بفكره وعقله تعكس حاجة الإنسان إلى الدِّين وإلى آلهة يلجأ إليها ويحتمي بحماها يتقرب إليها بقرابين وطقوس تعبدية مخترعة قد تصل في كثير من حالاتها إلى حد الأسطورية والخرافية في صفاتها كما قد تصل أحياناً إلى حد السذاجة في طبيعتها إلا أن ما يجمعها أنها ديانة أو آلهة لها قدسيتها وتعظيمها وهيبتها وطقوسها وعقائدها التي يؤمن بها أتباعها.

ومفهوم الدِّين لا ينفك غالباً عن المحتوى الذي يتضمنه والبعد الديني والهدف الذي يدعو إليه فهو مرتبط بشدة وبقوة بمصدره وباعثه لذا تنوعت أقوال المفكرين والفلاسفة في تفسير مفهوم الدِّين وبيان حقيقته وإطلاقاته. وإذا أردنا أن نفهم المعنى الاصطلاحي للدِّين يجب ألّا يغيب عن أذهاننا وعقولنا دلالات الدِّين ومفهومه اللغوي نظراً للترابط بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي خصوصاً في تفسير مفهوم الدِّين في القرآن الكريم.

المطلب الأول: المعنى اللغوي للدِّين:

قال ابن فارس في "مقاييس اللغة": "(دَيَنَ) الدَّالُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ إِلَيْهِ يَرْجِعُ فُرُوعُهُ كُلُّهَا. وَهُوَ جِنْسٌ مِنَ الِانْقِيَادِ، وَالذُّلِّ. فَالدِّينُ: الطَّاعَةُ، يُقَالُ دَانَ لَهُ يَدِينُ دِينًا، إِذَا أَصْحَبَ وَانْقَادَ وَطَاعَ. وَقَوْمٌ دِينٌ، أَيْ مُطِيعُونَ مُنْقَادُونَ"[1].

وقال ابن منظور في "لسان العرب": "(دَيَنَ): الدَّيّانُ: مِنْ أَسماء اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، مَعْنَاهُ الحكَم الْقَاضِي. وَسُئِلَ بَعْضُ السَّلَفِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبي طَالِب، ﷺ، فَقَالَ: كَانَ دَيّانَ هَذِهِ الأُمة بَعْدَ نَبِيِّهَا أَي قَاضِيهَا وَحَاكِمَهَا ... والدَّيّانُ: اللَّه عَزَّ وَجَلَّ. والدَّيَّانُ: القَهَّارُ، وَقِيلَ: الْحَاكِمُ وَالْقَاضِي، وَهُوَ فَعَّال مِنْ دَانَ الناسَ أَي قَهَرَهم عَلَى الطَّاعَةِ. يُقَالُ: دِنْتُهم فَدَانُوا

---

١. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الفكر، د ط، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، مادة (د ي ن)، ج٢، ص٣١٩-٣٢٠.

أَي قهَرْتهم فأَطاعوا ... وفي حَديثِ أَبي طَالِب: قَالَ لَهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: "أُريد منْ قُرَيْشٍ كَلِمَةً تَدينُ لَهُمْ بِهَا الْعرَبُ". أَي تُطيعُهُمْ وتَخْضَعُ لَهُمْ.

و(الدِّين): الْجَزَاءُ والمُكافأَة. ودنْتُه بفعله دَيْناً: جَزَيته ... ويومُ الدِّين: يومُ الْجَزَاءِ. وَفِي الْمَثَل: "كَمَا تَدينُ تُدان"، أَي: كَمَا تُجازي تُجازَى أَي تُجازَى بفِعْلكَ وَبِحَسْبِ مَا عَمِلْتَ، وَقِيلَ: كَمَا تَفْعَل يُفعَل بِكَ ... ودانَه دَيْناً أَي جَازَاهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّا لَمَدينُونَ)، أَي: مَجْزِيُّون مُحاسَبون، وَمِنْهُ الدَّيَّانُ فِي صفةِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ. وَفِي حَدِيثِ سَلْمان: "إِن اللَّه ليَدين للجمَّاء منْ ذاتِ القَرْن"، أَي: يَقْتَصُّ ويَجْزِي.

و(الدِّين): الْجَزَاءُ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: "لَا تَسُبُّوا السلطانَ فإِن كَانَ لَا بُدَّ فَقُولُوا اللَّهُمَّ دِنْهم كَمَا يَدينُونا"، أَي: اجْزِهم بِمَا يُعاملونا بِه.

و(الدِّين): الحسابُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة]، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ مَالِكِ يَوْمِ الْجَزَاءِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾ [التوبة:٣٦]، أَي: ذَلِكَ الحسابُ الصَّحيحُ وَالْعَدَدُ الْمُسْتَوِي.

و(الدِّين): الطَّاعَةُ. وَقَدْ دِنْته ودِنْتُ لَهُ أَي أَطعته. والجمعُ (الأَدْيانُ). يُقَالُ: دَانَ بِكَذَا ديانة، وتَدَيَّنَ بِه فَهُوَ دَيِّنٌ ومُتَدَيِّنٌ. ودَيَّنْتُ الرجلَ تَدْيِيناً إِذا وَكَلْتَهُ إِلى دِينه. و (الدِّين): الإِسلام، وَقَدْ دِنْتُ بِه. وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ ﷺ: "محبةُ العلماءِ دِينٌ يُدانُ بِه".

و(الدِّينُ): الْعَادَةُ والشأْن، تَقُولُ الْعَرَبُ: مَا زالَ ذَلكَ دِيني ودَيْدَني أَي عَادَتِي.

و(دِينَ): عُوِّد، وَقِيلَ: لَا فعْلَ لَهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: "الكيِّس مَنْ دانَ نَفْسَه وعَمِل لمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، والأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هوَاهَا وتَمَنَّى عَلَى اللَّه"، قَالَ أَبو عُبَيْد: قَوْلُهُ: "دَانَ نَفْسَهُ"؛ أَي: أَذلها وَاسْتَعْبَدَهَا، وَقِيلَ: حَاسَبَهَا. يُقَالُ: دِنْتُ القومَ أَدِينُهم إِذا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِمْ ... والدِّينُ للَّه منْ هَذَا إِنما هُوَ طَاعَتُهُ وَالتَّعَبُّدُ لَهُ. و (دَانَهُ دِيناً)، أَي، أَذله وَاسْتَعْبَدَهُ. يُقَالُ: دِنْتُه فَدَانَ... وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:﴿ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ ﴾ [يوسف:٧٦]، قَالَ قَتَادَةُ: فِي قَضَاءِ الْمَلك. ابْنُ الأَعرابي: دانَ الرجلُ إِذا عَزَّ، ودانَ إِذا ذَلَّ، وَدَانَ إِذا أَطاع، ودانَ إِذا عَصَى، وَدَانَ إِذا اعْتادَ خَيْرًا أَو شَرًّا، ودانَ إِذا أَصابه الدِّينُ، وَهُوَ دَاءٌ.

وقوله تَعَالَى: ﴿ أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ [الصافات:٥٣]، أَي: مَمْلُوكُونَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ ﴾ [الواقعة]، قَالَ الْفَرَّاءُ: غيرَ مَدِينِينَ أَي غَيْرَ مَمْلُوكِينَ، قَالَ: وَسَمِعْتُ غَيْرَ مَجْزِيِّين.

و (دِنْتُه أَدِينُه دَيْناً): سُسْته. ودِنْتُه: مَلَكْتُه. ودُنْتُه أَي مُلِّكته. ودَيَّنْتُه القومَ: وَلَّيْتُهُ سياسَتهم ... والدَّيَّان: السَّائِسُ. ودِنْتُ الرجلَ: حَمَلْتُهُ عَلَى مَا يَكْرَهُ. ودَيَّنْتُ الرَّجُلَ تَدْييناً إِذا وَكَلْتَهُ إِلَى دِينه.

و (الدِّينُ): الحالُ. قَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْل: سأَلت أَعرابيّاً عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ: لَوْ لَقِيتَنِي عَلَى دِينٍ غَيْرِ هَذِهِ لأَخبرتك. و (الدِّين): مَا يَتَدَيَّنُ بِهِ الرَّجُلُ. و (الدِّينُ): السُّلْطَانُ. و(الدِّين): الوَرَعُ. و (الدِّين): الْقَهْرُ. و (الدِّينُ): الْمَعْصِيَةُ. وَ (الدِّينُ): الطَّاعَةُ"[1].

ومن خلال هذا النص عن ابن منظور يظهر لنا أن الدِّين في لغة العرب يحمل عدة دلالات ومعان بحسب القرائن وأحوال الاستعمال، وبالنظر في المعاجم اللُّغوية يمكن حصر المحاور التي تدور حولها كلمة (دين) وأنها تعود إلى ثلاث معان تكاد تكون متلازمة وهي:

الأول: فهي تؤخذ من فعل متعد بنفسه، يقال: **دَانَه يدِينَه، أو دانه دِيْنَاً:** بمعنى مَلَكَه، وحَكَمَه، وقَهَرَه، وسَاسَه، فالدِّين بهذا الاستعمال يدور حول معنى الملك والقهر والمحاسبة والمجازاة والاستعباد؛ لأن الحساب والجزاء معنى أصيل في استخدام العرب لكلمة الدين.

الثاني: تأتي كلمة دين من فعل متعد باللازم، ويقال: **دَانَ لَه يَدِيْنُ دِيْنَاً:** ومعناه أطَاعه وخَضَع له، وانقاد، وذلَّ، فالدِّين هنا يستعمل بمعنى الخضوع والطاعة والعبادة.

الثالث: **تأتي كلمة الدين من فعل متعد بالباء،** ويقال: **دَانَ بِه:** بمعنى اتخذه مذهباً، أي: اعتقده، أو اعتاده، وتخلَّق به، سواء أكان حقّاً أم باطلاً، كمثل قولك: "دِنْتُ بِه" أي التزمت به عقيدة ومذهباً. ومن هذا المعنى استعمال الدِّين بمعنى العقيدة والمذهب، الملّة أو العادة، أو التقليد، أو جميع ما يُتَعبّد لله به، أو الطريقة التي يسير عليها المرء نظرياً أو عملياً[2].

---

١. **لسان العرب**، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، مادة (د ي ن)، ج١٣، ص١٦٦ – ١٧٠؛ وانظر: **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد الهروي الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م)، ج١٤، ص١٢٨–١٣٠؛ **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد بن محمد الحسيني المرتضى الزبيدي، تحقيق: مصطفى حجازي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م)، مادة (د ي ن)، ج١٦، ص٥٥–٦١؛ **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد (بيروت، صيدا: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، ص١١٠.

٢. انظر: **الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، محمد عبدالله دراز (الكويت: دار القلم، د ط، د ت)، ص٣٠–٣١؛ فرج الله، عبدالباري، **العقيدة الدينية نشأتها وتطورها** (القاهرة: دار الآفاق العربية، ط١، ٢٠٠٦م)، ص١٧.

ومن هذه المعاني اللغوية للدِّين يكون معنى كلمة "الدين" يختلف باعتبار مَن يُضافُ له، فبالنسبة لله سبحانه وتعالى يكون معناه: القهر والسلطان والعظمة والعزة وكل ما يدور في فلك هذه المعاني من التعظيم، ويكون الدِّين بالنسبة للفرد المتَدَيِّن: الخضوع والانقياد لمن دَانَ لَه، ويكون المعنى بالنسبة للمتَعدّي بالباء: هو الرباط والشريعة والدستور الذي التزم به المتدين والتزم بالسير على قواعده وهو المتعبد به[1].

وخلاصة الأمر أن لفظة الدِّين "عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يُعَظِّم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وصِفَ بها الأول كانت خضوعاً وانقياداً، وإذا وصِفَ بها الآخر كانت إلزاماً وسيطرة، وحُكْمَاً وأمراً، وإذا نظرنا إلى العلاقة بين الاثنين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة، والمظهر لها"[2].

وبوجه عام فإن كلمة "**الدين**" إذا أطلقت في الاصطلاح العام يراد بها: اسم عام يطلق على ما يتديَّن به البشر من اعتقاد وسلوك. وبمعنى آخر هو: طاعة المرء والتزامه بما يعتنقه من فكر ومبادئ[3].

المطلب الثاني: المعاني اللغوية "للدِّين" في القرآن الكريم:

وردت كلمة "الدين" بأوضاعه الإعرابية المختلفة في القرآن الكريم في (٩٥) موضعاً على النحو التالي:

- **الدِّين:** معرّفاً بـــــــــ "أل" في (٥٣) موضعاً.
- **دين:** نكرة ومعرّفاً بالإضافة في (١٠) مواضع.
- **ديناً:** بالتنوين في (٤) مواضع.
- **ديني:** مضافاً إلى ياء المتكلم في موضعين.
- **دينِه:** مضافاً إلى ضمير المفرد الغائب في موضعين.
- **دينهم:** مضافاً إلى ضمير جماعة الذكور الغائبين في (١٠) مواضع.
- **دينكم:** مضافاً إلى ضمير جماعة الذكور المخاطبين في (١١) موضعاً.

---

١. **بحوث في تاريخ الأديان**، محمد محمد أبو فرحة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (المدينة: عمادة البحث العلمي، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م)، العدد ٢٩، ج١٠، ص٤٤٣.

٢. **دراسات في مقارنة الأديان**، محمود محمد مزروعة (القاهرة: دار اليسر، ط١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، ص١٨.

٣. **مدخل جديد إلى فلسفة الدين**، مصطفى النشار (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط٢، ١٤٣٦ه، ٢٠١٥م)، ص١٩.

- **يَدِينُون:** الفعل المضارع المرفوع بالواو والنون في موضعٍ واحد، بمعنى: الاعتقاد والطاعة[1].
- **لَمَدِينُون:** في موضع واحد، بمعنى: لمحاسَبُون ومجزيُّون[2].
- **مدينين:** في موضع واحد، بمعنى: مُحَاسَبِينَ وَمَجْزِيِّينَ[3].

وكلّ هذه الألفاظ للدِّين جاءت بمعان مختلفة حسب سياق الآيات، ويمكن أن نستقصي المعاني اللغوية للدِّين في القرآن الكريم من خلال تتبع مضانها التي وردت فيها وكما أوردها المفسرون في تفسير آيات القرآن حسب تركيبها اللغوي والاعرابي على النحو التالي[4]:

أولاً: الدِّين:

وردت كلمة (الدِّين) في القرآن الكريم على خمسة معانٍ مختلفة كالتالي:

---

١. انظر: **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ)، ج٢، ص٣٣٥.

٢. **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ ،٢٠٠٠م)، ج٢١، ض٤٦.

٣. المصدر السابق، ج١، ص١٥٥.

٤. تم تفسير كلمة (دين) في كل مواضعها في القرآن بهذه المعاني من خلال الرجوع إلى أقوال المفسرين وما أوردوه من آثار وأقوال في تفسير الكلمة في مظانها في الآيات والسور، وقد اعتمدت هذه المعاني لكلمة الدين بعد أن قمت باستقراء كلمة الدِّين في مظانها كلِّها في القرآن مع الرجوع إلى أقوال المفسرين في عدد من كتب التفسير المعتمدة، انظر: **تفسير جامع البيان** للطبري؛ **تفسير معالم التنزيل** للبغوي؛ **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر القرشي ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٩هـ)؛ **مفاتيح الغيب التفسير الكبير**، محمد بن عمر فخر الدين الرازي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ)؛ **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م)؛ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ)؛ **الدر المنثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (بيروت: دار الفكر، د ط، د ت)؛ **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤هـ)؛ **محاسن التأويل**، محمد بن محمد بن قاسم القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ)؛ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)؛ **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، محمد الطاهر بن عاشور (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)؛ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م).

أولها: الحساب والجزاء والقضاء يوم القيامة: في قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢ ﴾ [الشعراء]، وفي قوله: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥ ﴾ [الحجر]، وفي: [التوبة:٣٦]، [الصافات:٢٠]، [ص: ٧٨]، [الذاريات:٦، ١٢]، [الواقعة: ٥٦]، [المعارج:٢٦]، [المدثر:٤٦]، [الانفطار: ١٥، ١٧، ١٨]، [المطففين: ١١]، [التين: ٧]، [الماعون:١].

ثانيها: دين الإسلام والملّة والشريعة: في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٣٢ ﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقوله: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [التوبة:١١]، وفي:[النساء:٤٦]، [الأنفال:٧٢]، [التوبة: ٣٣]، [الحج: ٧٨]، [الأحزاب: ٥]، [الشورى: ١٣]، [الفتح: ٢٨]، [الممتحنة: ٨، ٩]، [الصف: ٩].

ثالثها: الطاعة والعبادة والخضوع والإخلاص: في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الأعراف:٢٩]، وفي: [الأنفال:٣٩]، [يونس: ٢٢]، [يوسف: ٤٠]، [النحل: ٥٢]، [العنكبوت: ٦٥]، [الروم: ٣٠]، [لقمان: ٣٢]، [الزمر: ٢، ٣، ١١]، [غافر: ١٤، ٦٥]، [البيّنة: ٥].

رابعها: القرآن والسنن والفرائض والأحكام: في قوله تعالى:﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢][1].

خامسها: العوائد والأحكام والسيرة والمعتقدات: في قوله تعالى:﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشورى:٢١][2].

ثانيا: دين، ودينا:

ورد لفظ (دين) و (ديناً) في القرآن الكريم بمعانٍ مختلفة على النحو التالي:

الأول: الطاعة والعبادة: في قوله تعالى:﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ۝٨٣ ﴾ [آل عمران: ٨٣]. وقوله: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ

---

١. انظر: **معالم التنزيل**، البغوي، ج٤، ص١١١.

٢. انظر: **المحرر الوجيز**، ابن عطية، ج٥، ص٣٣.

ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾ [التوبة:٢٩]، وقوله:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

الثاني: دين الإسلام، والملّة والشريعة المستقيمة: في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البيّنة]، وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأنعام]، وفي [الكافرون:٦]، وفي [النصر:٢].

الثالث: الحكم والقضاء والسلطان: في قوله تعالى:﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [يوسف:٧٦]، وفي قوله: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [النور:٢].

الرابع: الطريق والسبيل: في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء].

ثالثاً: دِيْني، دِينه:

ورد لفظ **(دِيْني)** في القرآن الكريم بمعنيَين:

أحدهما: بمعنى دين الإسلام والملة والشريعة: في قوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٤].

وثانيهما: بمعنى الطاعة والعبادة والخضوع: في قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ ﴾ [الزمر].

أما لفظ **(دِينه)** فورد بمعنى دين الإسلام والملّة في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وفي قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤].

رابعاً: دِينهم، دِيْنكم:

أما لفظ (دِينهم) فقد جاء في كلِّ مواضعه بمعنى دين الإسلام والملّة والشريعة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:١٥٩]. وقوله: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾ [الأنفال:٤٩]. وفي: [الأنعام:١٣٧، ١٥٩، ٧٠]، [الأعراف: ٥١]، [الأنفال: ٤٩]، [النور: ٥٥]، [الروم: ٣٢]. ما عدا ثلاثة مواضع وردت بمعانٍ مختلفة:

أحدها: بمعنى دين اليهود في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [آل عمران].

وثانيها: بمعنى الطاعة والعبادة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء:١٤٦].

وثالثها: بمعنى الحساب والجزاء في قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور:٢٥].

وأما لفظ **(دِيْنَكُم)** فورد في القرآن الكريم بمعنى دين الإسلام كقوله عز وجل: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ﴾ [البقرة:٢١٧]. وقوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣]. وفي: [المائدة: ٥٧]، [التوبة: ١٢]. وفي ثلاثة مواضع ورد لفظ **(دينكم)** بمعنى دين أهل الكتاب اليهود والنصارى:

أحدها: في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٣].

وثانيها: في قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ [النساء:١٧١].

وثالثها: في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة:٧٧].

وفي موضعين ورد لفظ **(دينكم)** بمعنى ما يدين به الإنسان ويعتقده من دين ومعتقد باطل، وهما: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [غافر]. وفي قوله: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون].

وبعد هذا الاستقراء الواسع للمعاني اللغوية للفظ (دين) في القرآن الكريم والتي أوردها المفسرون في كتب التفسير حسب مظانها في الآيات والسور، نلاحظ أن تلك المعاني يمكن حصرها في المعاني التالية:

١. الحساب والجزاء والقضاء يوم القيامة.
٢. دين الإسلام والملّة والشريعة.
٣. الطاعة والعبادة والخضوع والإخلاص.
٤. الحكم والقضاء والسلطان.

٥. القرآن والسنن والفرائض والأحكام.
٦. العوائد والأحكام والسيرة والمعتقدات.
٧. الطريق والسبيل.
٨. ما يدين الإنسان به ويعتقده من دين واعتقاد باطل.
٩. دين اليهود والنصارى.

وهذه المعاني المختلفة كلّها تعطي دلالة واضحة بتطابق معاني الدِّين في القرآن الكريم مع معانيه في اللغة العربية، كما تعطي دلالةً وتأكيداً على أصالة كلمة (الدين) وأن لها أصلاً في لغة العرب كون القرآن كتاباً عربياً مبيناً، وفي هذا رد على من شكك في أصالة كلمة (دين) في اللغة العربية وفي القرآن كبعض المستشرقين من كتَّاب "دائرة المعارف الإسلامية" الذين نفوا وجود كلمة عربية خالصة بمعنى (دين) وزعموا أن لها أصولاً آرامية وفارسية[١]، وهذا يدل على جهلهم باللغة العربية، وجهلهم باستعمالات القرآن الكريم للفظ الدِّين ومعانيه المختلفة، ولا يمكن من كان هذا حاله أن يكون حاكماً على لغة القرآن الكريم فضلاً أن يصلح علمياً للبحث في أساليب القرآن الكريم وبلاغته.

المطلب الثالث: المعنى الاصطلاحي للدِّين:

اختلفت عبارات الفلاسفة والعلماء والمفكرين المسلمين والغربيين في توضيح مفهوم الدِّين[٢] اختلافاً بيِّناً حتى يكاد من الصعب أن نجد لعلماء الأديان والمشتغلين بدراستها اصطلاحاً مقبولاً لديهم للدِّين ومتفقاً عليه؛ وذلك لاختلاف الأديان والاختلاف حول العناصر المشتركة بينها، واختلاف المناهج وطرائق التفكير[٣].

---

١. انظر: **دائرة المعارف الإسلامية**، م.ت.هوتسما ومجموعة من المستشرقين، تحقيق: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون (دار الفكر العربي)، ج٩، ص٣٦٨.

٢. انظر: تعريفات الدِّين عند علماء الاجتماع والفلاسفة والمفكرين الغربيين في: دراز، **الدين**، ص٣٤–٤٥؛ **نشأة الدِّين النظريات التطويرية والمؤلهة**، علي النشار (القاهرة: دار السلام، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م)، ص٢٤–٣١؛ صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، جميل صليبيا (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٧١م)، ج١، ص٥٧٢؛ و**بحوث في مقارنة الأديان**، أحمد عبد الرحيم السايح (الدوحة: دار الثقافة، د ط، د ت)، ص: ٢٧–٢٨؛ و**مدخل جديد إلى فلسفة الدين**، النشار، ص١٩–٢٥.

٣. انظر: **بحوث في مقارنة الأديان**، السايح، ص٢٥؛ **مدخل لدراسة الأديان**، عبدالله علي سمك (مكة المكرمة: دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع، د ط، د ت)، ص٣٠.

وفي الفكر الإسلامي ساهم علماء المسلمين بمحاولات لتحديد مفهوم الدِّين وبيان معالمه وسأتناول أشهر تلك التعريفات وأكثرها تداولاً وهي:

١. عرّفه السيد الجرجاني في "التعريفات" فقال: "الدين، وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول ﷺ"[١].
٢. وعرّف أبو البقاء في كتابه "الكليَّات" الدِّين بأنه: "عبارة عن وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات، قلبا كان أو قالبياً، كالاعتقاد والعلم والصلاة"[٢].
٣. وعرّفه التَّهانوي في "كشّاف اصطلاحات الفنون" فقال: "الدين، وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل"[٣].
٤. وعرّفه الراغب الأصفهاني في "المفردات" فقال: "الدين، ما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله تعالى"[٤].

والملاحظ من التعريف الإسلامي للدِّين أنه حصر مسمّى الدِّين في دائرة الأديان الصحيحة، المنبثقة من الوحي الإلهي، وهي التي تتخذ معبوداً واحداً هو الخالق المهيمن على كل شيء فالديانات الخرافية والوثنية الوضعية لا ينطبق عليها تعريف الدِّين بهذا المفهوم؛ مع إن القرآن الكريم قد سمّاها ديناً حيث يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ [آل عمران:٨٥]﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ [الكافرون]. ولذلك كان يجب على من يتعرَّض لتعريف الدِّين أن ينظر إلى العناصر الرئيسة في العقيدة الدينية، والتي ملخَّصها في هذا التعريف الذي ذكره فضيلة الدكتور عبدالله دراز لمعنى الدِّين بإطلاق، حيث ذكر بعد تحليله لعناصر الدِّين بأن الدِّين في **المفهوم الاصطلاحي** هو: "الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرف

---

١. **التعريفات**، علي بن محمد الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، ص١٠٥.

٢. **الكليّات**، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الحنفي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري (دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٢م)، ص٤٤٣.

٣. **موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، محمد علي حامد الحنفي التهانوي، تحقيق: علي دحروج (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦م)، ج١، ص٨١٤.

٤. **المفردات في غريب القرآن**، الحسين بن محمد الراغي الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي (دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ)، ص٧٧٣

وتدبير للشئون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد"[١].

وبعبارة موجزة: هو الإيمان بذات إلهية، جديرة بالطاعة والعبادة. وهذا التعريف يحصر الدِّين بكونه حقيقة داخلية، أو حالة نفسية بمعنى التدين، أما إذا نظرنا إلى الدِّين من حيث هو حقيقة خارجية فإنه: "جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها"[٢].

ومن الناحية الفلسفية يمكن تعريف الدِّين كما في "المعجم الفلسفي" بأنه الذي: "يعبر عن المطلق في إطلاقه وعن المحدد في محدوديته، وعن العلاقة بينهما، ولهذا يتصف أي دين بما يأتي:

١. ممارسة شعائر وطقوس معينة.
٢. الاعتقاد في قيمة مطلقة لا تعدلها أي قيمة أخرى.
٣. ارتباط الفرد بقوة روحية عليا وقد تكون هذه القوة متكثرة أو أحادية"[٣].

وذهب الدكتور عبدالله سمك إلى أن تعريف الدِّين بوجه عام هو: انقياد العابد لمعبوده، باطناً وظاهراً، عقيدة وشريعة وأخلاقاً، رغبة ورهبة، لنيل خيره وثوابه، أو دفع شره، وعقابه، أو هما معاً[٤].

وهذا التعريف للدِّين بمعناه الاصطلاحي العام يمكن أن يطلق على ما يتديّن به الإنسان ويدين به ظاهراً وباطناً سواء كان ديناً سماوياً أم وضعياً، وأنه لا يقتصر على جانب الاعتقاد فقط بل يتعداه إلى الجانب التشريعي والأخلاقي مع حالة نفسية ترتبط بالرغبة والرهبة والرجاء والخوف من قبل معتنقه نحو ذات مقدسة يخضع لها.

ومن خلال هذه المفهوم الاصطلاحي العام للدِّين يمكن أن نقول إن ثمة خصائص تتميز بها الأديان كافة أهمها:

١. الإيمان بإله أو كائنات فوق الطبيعية، فمعظم الأديان تشترك في اعتقاد وجود خالق واحد أو عدة خالقين للكون والعالم قادرين على التحكم بهما وبالبشر وكافة الكائنات الأخرى.

---

١. **الدين**، دراز، ص٥٢.
٢. المصدر السابق، ص٥٢.
٣. **المعجم الفلسفي**، يوسف كرم، ومراد وهبة (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، د ط، ١٩٧٩م)، ص٢٩٩.
٤. **مدخل إلى دراسة الأديان**، سمك، ص٣٨-٣٩.

٢. التمييز بين عالم الأرواح وعالم الشهادة.
٣. وجود طقوس عبادية يقصد بها تبجيل المقدس من ذات إلهية وغيرها من الأشياء التي تتصف بالقدسية.
٤. قانون أخلاقي أو شريعة تشمل الأخلاق والأحكام التي يجب اتباعها من قِبَل الناس، ويعتقد المؤمنون عادة أنها آتية من الإله.
٥. الصلاة وهي الشكل الأساسي للاتصال بالله أو الآلهة وإظهار التبجيل والخضوع والعرفان.
٦. رؤية كونية تشرح كيفية خلق العالم وتركيب السماوات والأرض وبعض الأديان تحتوي على آلية الثواب والعقاب؛ أي كيف ينظم الإله شئون العالم.
٧. شريعة أو مبادئ شرعية لتنظيم حياة المؤمن، وفقاً للرؤية الكونية التي يقدمها هذا الدين.

ويمكن في هذا الإطار ومن خلال هذه الخصائص التأكيد على ثلاث حقائق أو مستويات مشتركة بين هذه الأديان:

أ. العقائد الدينية ب. الأخلاق الدينية ج. العبادات الدينية.[١]

بينما يرى الدكتور عبدالله سمك من خلال دراسته للأديان –أيّاً كانت إلهية أم وضعية– أنها تشترك في أربعة عناصر أساسية:

١. معبود "واحد أو أكثر" يتجه إليه بالطاعة والتقديس.
٢. عابد يقوم بممارسات وشعائر معينة.
٣. رباط جامع بين العابد والمعبود يتمثل في مسائل الاعتقاد والتشريع والأخلاق، وطريقة يلتزم بها العابد نظرياً وعملياً، تختلف باختلاف الدِّين الذي يدين به الفرد أو الجماعة.
٤. غاية ومصلحة يسعى إلى تحقيقها من خلال الدِّين وهي إما جلب النفع، أو دفع الضر، أو هما معاً، أو مصلحة تتعلق بالثواب والخير، أو العقاب والشر، أو نيل رضا المعبود وتجنب سخطه، أو الحصول على السعادة والبعد عن الشقاء.[٢]

---

١. **مدخل جديد إلى فلسفة الدين**، النشار، ص٢٣-٢٤.

٢. **مدخل إلى دراسة الأديان**، سمك، ص٣٨-٣٩.

المطلب الرابع: الأديان في القرآن الكريم:

الأديان الواردة في القرآن الكريم تنحصر في ستة أديان ورد ذكرها في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم هي:

الأول والثاني: ذُكر فيهما أربعة أديان في سورتي البقرة والمائدة في قوله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [البقرة] وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿٦٩﴾ ﴾ [المائدة].

الموضع الثالث: في سورة الحج، ذكر الله تعالى الأربعة الأديان السابقة إضافة إلى المجوسية والوثنية، قال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحج: ١٧].

فالأديان التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وذكر أتباعها هي: الإسلام، واليهودية، والصابئة، والنصرانية، والمجوسية، والوثنية. كما ذكر القرآن الكريم في مواضع أخرى صور من ديانات وثنية كانت سائدة إبان البعثة المحمدية كعبادة الشمس والقمر[١]، وعبادة الجن والشياطين[٢] ودين الملاحدة الدهريين[٣].

وقال ابن القيم –رحمه الله–:"ولما بعث الله محمداً ﷺ كان أهل الأرض صِنْفَين: أهل الكتاب، وزنادقة لا كتاب لهم، وكان أهل الكتاب أفضل الصنفين، وهم نوعان: مغضوب عليهم وهم اليهود، وضالون وهم النصارى. وأما من لا كتاب له: فهو بين عابد أوثان، وعابد صوان، وعابد شيطان، وصابئ حيران، يجمعهم الشرك، وتكذيب الرسل، وتعطيل الشرائع، وإنكار المعاد وحشر الأجساد، لا يدينون للخالق بدين، ولا يعبدونه مع العابدين، ولا يوحدونه مع الموحدين، كالمجوس وزنادقة الصابئة وملاحدة

---

١. في قوله عز وجل:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت].

٢. في قوله عز وجل:﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سبأ]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يس].

٣. في قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية].

الفلاسفة. وبالجملة فدين الحنيفية الذي لا دين لله غيره بين هذه الأديان الباطلة التي لا دين في الأرض غيرها – أخفى من السُّهَا تحت السَّحاب، وقد نظر الله إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، فأطلع الله شمس الرسالة في حنادس تلك الظلم سراجا منيرا، وأنعم الله بها على أهل الأرض نعمة لا يستطيعون لها شكرا، وأشرقت الأرض بنور ربها أكمل الإشراق، وفاض ذلك حتى عم النواحي والآفاق، وانشق القمر أتم الانشقاق، وقام دين الله الحنيف على ساق، فلله الحمد الذي أنقذنا بمحمد ﷺ من تلك الظلمات، وفتح لنا به باب الهدى فلا يغلق إلى يوم الميقات"[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [البقرة] دليلٌ على أن هذه الملل الأربعة وهي: الإسلام، واليهودية، والنصرانية، والصابئة، كان فيها من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحًا وأنهم سعداء في الآخرة ثم لما بعث الله محمدًا ﷺ كان من كفر به منهم ومن غيرهم شقيًّا معذَّبًا. بخلاف المجوس والمشركين فإن الله ذكرهم في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحج: ١٧] فهنا ذكر الملل الست ليبيّن أنه يفصل بينهم يوم القيامة ولم يُثْنِ عليهم لأنه ذكر معهم المجوس والذين أشركوا؛ فلم يُثْنِ سبحانه على أحدٍ من المجوس والمشركين كما أثنى على من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من الملل الأربع المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين؛ فهؤلاء كانوا يدينون بالتوراة قبل النسخ والتبديل وكذلك الذين دانوا بالإنجيل قبل النسخ والتبديل والصابئون الذين كانوا قبل هؤلاء كالمتبعين لملّة إبراهيم إمام الحنفاء ﷺ قبل نزول التوراة والإنجيل، وهذا بخلاف المجوس والمشركين فأنه ليس فيهم مؤمن[2].

---

١. **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد الحاج (جدة: دار القلم، دار الشامية، ط١، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م)، ص٢٢٧-٢٣٠، بتصرف.

٢. انظر: **الرد على المنطقيين**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (بيروت: دار المعرفة، د ط، د ت)، ص٢٨٨؛ **الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: علي بن محمد العمران (مكة: دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ)، ص١٣٧؛ **وهداية الحيارى**، ابن القيم، ص٢٣٧.

المبحث الثاني
المفهومُ العامِّ للدِّين في القرآن الكريم

إن التَّتبع والاستقراء لمفهوم "الدين" ودلالاته ومعانيه الواردة في القرآن الكريم تعطي الباحث سِعَةً في الأُفُق ونظرة كليَّة لمفهوم الدِّين الجامع الشامل الذي جاء به القرآن والذي لا ينحصر في مجرد استعمالات ومعاني لغوية تقف عند حروفه؛ وإنما يحلِّق بك المفهوم والمصطلح القرآني للدِّين في آفاق رحبة في طبيعة النفس البشرية وفطرتها وفي سر خضوعها وإذعانها لخالقها وعبوديتها له واستسلامها لأمره ونهيه، وفي فهم أحداث تاريخية مرَّ بها الأنبياء والرسل مع أممهم وأقوامهم في دعوتهم التوحيدية الإصلاحية الشاملة، وفي خضوع نواميس الكون وقوانينه ليعلن الحاكمية والسلطة العليا لإله واحد له الحق وحده في التصرف بالخلق والأمر والنهي. ليؤكد في نهاية المطاف أن مفهوم الدِّين ودلالاته في القرآن الكريم تتعدى الحدود اللغوية والمفردات الاصطلاحية لتشمل دلالة تكوينية عامة لنظام ومنهج الحياة والكون والإنسان.

الدِّين في مفهوم القرآن الكريم لا يمكن حصره في مفهوم واصطلاح ضيق لا يتجاوز المعنى اللغوي وإنما يمكن أن نوسّع دائرة المفهوم لتصل إلى أسس ومرتكزات ومبادئ يقوم عليها وينطلق منها إلى تحديد مفهوم ودلالة الدِّين بمعناه العام ويرسم مساره ويحدد أهدافه وغايته ويبرز سماته وصفاته؛ ويمكن أن نحدّد المفهوم العام للدِّين في القرآن الكريم من خلال الأسس والمرتكزات التالية:

أولاً: الدِّينُ وحيٌ إلهي وتديُّنٌ فطري:

لقد اجتهد علماء ومفكروا علم الاجتماع والفلاسفة ومن منطلقات مختلفة متباينة في تفسير مصدر الدِّين ونشأته والباعث على التَّديُّن؛ حيث ذهبوا إلى نظريات مختلفة واتجاهات متعددة حصرها الدكتور علي النشار في كتابه "نشأة الدين" في اتجاهين رئيسين أو في نظريتين عامتين:

النظرية الأولى: هي التطويرية: وهي تذهب إلى أن فكرة الله وجدث في المجتمعات الأولى بشكل عقائد انبثقت إما من الأفراد وإما من الجماعة.

النظرية الثانية: وهي الفطرية: وهي تذهب إلى أن فكرة الله أو الدِّين على العموم إنما هي فكرة فطرية، وجدت في عقل الإنسان ولكن أوجدها فينا موجود أعلى.

الفكرة الأولى تذهب إلى أن الدِّين وجد في صورة جماعية أو فردية، ولكنه في كلتا الحالتين من عمل الإنسان، والفكرة الثانية تنادي بأن للدِّين حقيقة خارجية هي الله، منفصلة عن الجماعة، وعن الكون كلّه، مباينة له، وأن تلك الحقيقة الخارجية هي التي

غرست فينا فكرة الله، تجد الفكرة الأولى سندها في الأبحاث الأنثروبولوجية[١] والأنتولوجية[٢] وغيرها من أبحاث إنسانية.

أما النظرية الأخرى فقد استندت – مع اتجاهها أخيراً إلى الأبحاث الأنتروبولجية – إلى الحقيقة الوجودية الثابتة فلسفياً "فكرة الخلق" "فكرة الصنع" الأولى استندت على فكرة "التطور" في سنن البشرية، وفي قوانينها الاجتماعية، أما الأخرى فاستندت على فكرة الخلق المباشر والصانع الأوحد والمدبر القديم، الدِّين في الأولى نتاج الإنسان في تطور مع مراتب البشرية، وفي الثانية غريزة في باطن البشرية، وفطرة أساسية لا مناص من الاعتقاد بها أو على الأقل لا مناص من معرفتها.

والفكر الإنساني يتنازع في جبروت عنيف مقدمات كل منهما ونتائجها، أما النظريات التطويرية فتتكون من مذاهب متعددة؛ أهمها المذهب الحيوي (Animism)[٣]، والمذهب الطبيعي (Naturism)[٤]، والمذهب التوتمي (Totemism)[٥]. أما النظريات الفطرية فيمثلها أحسن تمثيل المذهب المؤلّه عند شميت ولانج وغيرها.[١]

---

١. الأنثروبولوجيا Anthropology أو علم الإنسان: هو الدراسة العلمية للإنسان، في الماضي والحاضر، الذي يُرسم ويُبنَى على المعرفة من العلوم الاجتماعية، وعلوم الحياة، والعلوم الإنسانية. وقد نُحتت الكلمة من كلمتين يونانيتين هما "Anthropo" ومعناها "الإنسان" و "Logy" ومعناها "علم". وعليه فإن المعنى اللفظي لاصطلاح الأنثروبولوجيا (Anthropology)هو علمُ الإنسان. انظر: **مدخل إلى علم الإنسان**، عيسى الشماس **(الأنتروبولوجيا)** (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٤م)؛ وموسوعة ويكيبيديا الموسوعة الحرة على شبكة الانترنت.

٢. الأنتولوجية "Ontology" : يعود مصطلح الأنطولوجية إلى أصل يوناني من "onto" وتعني الوجود، و "logie" أي العلم . الأنطولوجية "Ontology" " أو علم الوجود، أحد مباحث الفلسفة، وهو العلم الذي يدرس الوجود بذاته، الوجود بما هو موجود، مستقلاً عن أشكاله الخاصة، ويُعنى بالأمور العامة التي لا تختص بقسم من أقسام الوجود، الواجب والجوهر والعرض، بل تعمم على جميع الموجودات من حيث هي كذلك، وبهذا المعنى فإن علم الوجود معادل للميتافيزيقا، أو ما بعد الطبيعة "metaphysique" فهو نسق من التعريفات الكلية التأملية في نظرية الوجود عامة. انظر: **الموسوعة العربية** على شبكة الانترنت، الأنطلوجية.

٣. المذهب الحيوي يفسر نشأة الدين إلى الدافع الروحي، وقد ذهب إلى هذه النظرية الباحثان في العلوم الإنسانية "تيلور" و "سبنسر". انظر: **نشأة الدين**، النشار، ص٣٨؛ و**العقيدة الدينية**، فرج الله، ص٦٦.

٤. المذهب الطبيعي يرى أن الباعث على التدين والدافع لنشأة الدين لدى الإنسان هو مظاهر الطبيعة حوله إما تعظيماً لها الناتج عن التأمل فيها، وإما الخوف من مظاهر الطبيعة. وممن ذهب إلى هذه النظرية "ماكس موللر"، و "كوهن" و"جيوفنس". انظر: **نشأة الدين**، النشار، ص٧٣؛ **العقيدة الدينية**، فرج الله، ص٦٤.

٥. المذهب التوتمي وذهب إلى هذه النظرية عالم الاجتماع الفرنسي "دور كايم" ومفاد هذه النظرية تفسير نشأة الدين والتدين من خلال الطوطم وهو رمز وشعار من النباتات أو الحيوانات مقدّس لدى القبيلة والعشيرة بلغ حد تحري=

والخلاصة أن النظرية التطويرية "انتهت إلى أن الدِّين ظهر أولاً في صورة الخرافة والوثنية، وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه من الوثنية حتى وصل إلى التوحيد وبالتالي تطورت العقيدة الدينية عند الإنسان بتتطور المجتمع، وإن أصحاب هذا الاتجاه على اختلاف مشاربهم قديماً وحديثاً يجمعهم رأي واحد هو أنهم لا يرون مصدراً للدِّين خارج هذا العالم الحسي ومن الطبيعي أن يجمع هؤلاء على إنكار الألوهية كحقيقة موضوعية ذات وجود فعلي ثابت شامل ومستقل كما يجمعهم القول بالتتطور في الديانات"[٢].

بينما انتهت النظرية الفطرية إلى أن الدِّين ظهر أولاً في صورة التوحيد أو عقيدة الإله الأعلى أو الخالق الأكبر، وأن الوثنية من الأعراض الطارئة، وقد انتصر لفطرية التوحيد وأصالته جمهور من علماء الأجناس وعلماء الإنسان وعلماء النفس.[٣]

والذي يجب التنبيه عليه هنا أن فطرية عقيدة التوحيد التي قال بها المفكرون الغربيون لا يقصدون به التوحيد الذي جاء به الأنبياء والمرسلون القائم على توحيد الله تعالى في ربوبيته والوهيته وأسمائه وصفاته؛ وإنما يقصدون التوحيد الذي هو نقيض التعدد في الآلهة واعتقاد إله واحد للكون ثم طرأ عليه التعدد والوثنية؛ ثم إنهم لم يتلقوا هذا التوحيد من رسالة الأنبياء وإنما عن طريق دراستهم للقبائل وعاداتها وتقاليدها فهو توحيد مختلط بالوثنية.

والحقيقة أنه على الرغم من أن هذه النظريات قد لاقت رواجاً كبيراً وواسعاً بين المختصين سواء بالموافقة أو الرفض؛ إلا أنها في الأخير لا تعد محل قبول أو تسليم مطلق من الناحية الدينية، أضف إلى ذلك أنها لاقت الكثير من الانتقادات في الأوساط العلمية المعاصرة حتى أصبحت محل نقض ورفض[٤].

=مأكلها وتناولها مما نتج عنه عقيدة ودين وطقوس وشعائر تؤدى لهذا الطوطم المقدس الذي يعتبر بمنزلة الإله في الأديان الأخرى. انظر: **نشأة الدين**، النشار، ص٩٣؛ **العقيدة الدينية**، فرج الله، ص٦٨.

١. **نشأة الدِّين**، النشار، ص٣٦-٣٧.

٢. فرج الله، **العقيدة الدينية**، ص٦٠.

٣. انظر: سمك، عبدالله علي، **المنهجية في دراسة الأديان الوضعية** (مكة المكرمة: دار طيبة الخضراء، ط١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، ص٤٢-٤٣.

٤. انظر: دراز، **الدين**، ١٠٣-١٠٨؛ النشار، **نشأة الدين**، ٣٨-١٧٤؛ سمك، **المنهجية في دراسة الأديان الوضعية**، ص٣٩-٨٤؛ وسمك، **مدخل لدراسة الأديان**، ص٥٨٧-٦١٥؛ فرج الله، **العقيدة الدينية**، ص٥٧-٩٢.

والذي يهمنا من هذا كلّه أن هذه النظريات لا تتفق كليّة مع حقيقة مصدر الدِّين ونشأته في القرآن الكريم؛ لأن منشأها قائم على اجتهاد بشري حاول جاهداً التعمق لمعرفة أغوار التاريخ الديني للبشرية وتفسير سر شدة تعلق النفس الإنسانية بالدِّين والتَّديّن. بينما نجد أن القرآن الكريم تناول هذه القضية من منطلق وفلسفة أخرى تعتمد كلية على الوحي الإلهي الذي بعث به الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

وإذا بحثنا عن مصدر الدِّين ونشأته في القرآن الكريم نجد أن القرآن الكريم يعطينا إجابة شافية وقاطعة أن الدِّين مصدره الوحي الإلهي الذي نَزل به من السماء من عند الله تعالى إلى أنبيائه ورُسُلِه وفَطَرَ النّاس عليه، فالدِّين إلهي المصدر وفِطْرِي الباعث والتدين.

وقد عبّر القرآن الكريم عن مصدر الدين ونشأته بالتصريح بالإتيان وأنه آتى الإنسان الأول آدم عليه السلام الدين من عنده عز وجل. حيث أخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى خلق آدم عليه الصلاة والسلام أبو البشرية وذكر تشريفه وتكريمه له، وأن الله تعالى خلقه بيده، وأنه شرَّفه وكرَّمه، وجعله خليفة في الأرض، وأسكنه دار الكرامة، وأسجد له الملائكة تعظيماً لشأنه، وخصّه بعلم غزير وقفت الملائكة عاجزة عنه[1]، وكلّ ذلك من أظهر وجوه التشريف والتكريم لهذا النوع الإنساني ممثلاً في أصل البشرية آدم عليه السلام. ومن تكريم الله عز وجل للإنسان أن أنزل عليه الهُدَى فقال عز وجل: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٣٨]، والهُدَى: هو الدِّين الذي أنزل الله تعالى به الكتب، وبعث به الأنبياء والرسل[2] ولهذا نَسَبه الله تعالى إلى نفسه ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ﴾ ولم ينسبه إلى آدم عليه الصلاة والسلام لأنه ليس مهيَّأً لوضع نظام ديني متكامل من عند نفسه. وفي هذا إشارة إلى أن هذا الإتيان للدِّين حصل من قبل الله عز وجل إلى آدم عليه الصلاة والسلام، وأن بمجرد الإتيان للهدى والدين يبدأ تحمل المسئولية وسيبدأ منهج الله مهمته في الحياة؛ بل إنه "منذ أن خلق الله عز وجل آدم وحواء وهناك أمرٌ ونهي تمثل في إباحة الجنة له بما فيها من الطيبات باستثناء شجرة مخصوصة، لا يعلمها إلا الله وحذرهما من الشيطان الذي أظهر العداوة المبكرة لآدم عليه السلام حين امتنع عن السجود له مع بقية الملائكة امتثالاً لأمر الله. وأن الله أهبط آدم من الجنة بعد

١. انظر سورة البقرة من الآية (٣٠) إلى الآية (٣٧).

٢. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٢٤٠؛ والقاسمي، **محاسن التأويل**، ج١، ص٢٩٥.

أن نسي ما عهد به الله إليه، وعده الله بأن يُنزل عليه وعلى ذريته هداه كي يعرِّف الإنسان بربه ومنهجه وتشريعه"[1].

وأشار الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره إلى أن الهدى "هو في معنى العهد الذي أخذه الله على آدم فلزم ذريته أن يتبعوا كل هدى يأتيهم من الله، فشمل جميع الشرائع الإلهية المخاطب بها طوائف الناس لوقوع (هُدى) نكرة في سياق الشرط وهو من صيغ العموم، وأولى الهدى وأجدره بوجوب اتباعه الهدى الذي أتى من الله لسائر البشر وهو دين الإسلام الذي خوطب به جميع بني آدم"[2].

وهذا التصريح بالإتيان لم يقتصر على آدم عليه السلام؛ وإنما أمتد ليشمل إتيان الدين للأنبياء والمرسلين من بعده قال عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران:٨١]. وذلك عن طريق الوحي وإنزال الدين عليهم، فلم يكن لهم دور في مصدره ونشأته. ويؤيِّد هذا المعنى ما صرّح الله تعالى به من إرساله الوحي إلى الأنبياء والمرسلين جميعاً وتشريعه لهم الشرائع والأحكام، فقال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء]، وقوله عز وجل:﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى]، قوله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزمر:٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء:١٧٤].

فتعبير القرآن الكريم عن وسيلة تبليغ الدين إلى أنبيائه ورسله بالتصريح بـــــــــــ "آتينا، وأوحينا، وشرعنا، وأنزلنا، وجاءكم"، يدلُّ على أنَّ فلسفة نشأة الدين ومصدره في الاصطلاح القرآني تقوم على أنَّ هناك إلهٌ خالقٌ خَلَقَ الخلقَ بعث إليهم أنبياء ورسل مُصْطَفين من خَلْقِه وعبادِه، وأنه أوحى إليهم عن طريق الوحي بالدين والشرائع ليبلغوها إلى أممهم وأقوامهم، فهم لم يخترعوا الدين ولم يؤلِّفوه من تلقاء أنفسهم كما تقول النظريات التطويرية. ولم يكن هذا الإله يترك الخلق لعقولهم ولا إلى فِطَرِهم ليؤسِّسوا لهم ديناً وشريعة بإلهام أو غريزة داخلية ذاتية كما تقول النظريات

١. فرج الله، **العقيدة الدينية**، ص١٠٣-١٠٤.

٢. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٤٤٤.

المؤلهة. بل تكفَّل الله تعالى بتشريع ووضع أنظمة ذلك الدين وأحكامه وأَحْكَمَها وأتقنها وأحسَنَها ثم أنزلها بالوحي الملَكي (جبريل عليه السلام) إلى جميع أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ليبلِّغوها إلى أممهم وأقوامهم كلٌّ حسب دعوته التي كُلِّف بها من قِبَل ذلك الإله الخالق وهو الله جل جلاله، مع تزويدهم بما يدلُّ على صِدْقِ نبوءتهم ورسالتهم من دلائل وآيات صادقة ومعجزة تؤكد صدق ما جاءوا به من عند الله تعالى. فمن آمن بهم واتبعهم وصدّقهم فقد أفلح ونجح، ومن كذّبهم وأعرض عن دعوتهم فقد خاب وخسر. إذاً مصدر الدِّين هو من عند الله عز وجل وأن الإنسان الأول نزل بالوحي والهداية والتوحيد كما بُعِثَ به الأنبياء والمرسلين من بعده.

وأما الباعث على التَّديّن فهو الفطرة التي أَوْدَعَها اللهُ في الإنسان، وجَعَلَهُ مستعداً لقبول الهُدى والخير الذي جاء به الأنبياء والمرسلين، وهذه الفطرة إذا كانت سليمة ونظيفة من أوساخ الوثنية ومن الشكوك والشبهات ولم تنحرف عن مسارها الذي خُلِقَت عليه، فإنها تتوافق مع دعوة الأنبياء والرسل، وتتفق مع الدين الذي جاؤوا به، فتتديَّن به وتعتنقه وتسلِّم أمرها لله رب العالمين. وقد دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم]، فالخلق منذ خلقهم الله من آدم جميعاً يقرون بدين التوحيد القائم على الإيمان بالله وحده والإقرار بربوبيته ويؤيد هذا ما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ) [الروم: ٣٠] الآيَةَ[1]. وما رواه مسلمٌ في صحيحه عن عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي

---

١. أخرجه البخاري في **الصحيح**، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، كتاب التفسير، باب: لا تبديل لخلق، رقم (٤٧٧٥)، ج٦، ص١١٤؛ وبرقم (١٣٥٨، ١٣٥٩)، ج٢، ص٩٤.

مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا ... الحديث»[1]. والحُنَفَاء جمع حَنِيف: وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه والحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم عليه السلام. وأصل الحنف الميل[2]. وفي هذه دلالة على أن الله جعل نسلهم جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن مفطورين على التوحيد والإقرار بالوحدانية.

قال ابن حجر في "الفتح": "وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة: الإسلام، قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف. وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم]، الإسلام[3]، واحتجوا بقول أبي هريرة في آخر حديث الباب: «اقرؤوا إن شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها»، وبحديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ» ... قال: والمراد تمكُّن الناس من الهُدى في أصل الجِبلَّة والتهيؤ لقبول الدين فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد"[4].

وقال ابن الأثير في "النهاية": "«كلُّ مولود يُولد عَلَى الفِطْرَة» الفَطْرُ: الابتداء والاختراع. والفِطْرَة: الحالة منه ... والمعنى أنه يولد على نوع من الْجِبِلَّةِ والطبع الْمُتَهَيِّئِ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد، ثم تمثَّل بأولاد اليهود والنصارى في اتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم عن مقتضى الفطرة السليمة. وقيل: معناه كل مَوْلُودٍ

---

١. أخرجه، مسلم **في الصحيح**، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ط، د ت)، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم الحديث (٢٨٦٥)، ج٤، ص٢١٩٧.

٢. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، د ط، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، ج١، ص٤٥١.

٣. وهو قول جمهور المفسرين، انظر: **جامع البيان**، الطبري، ج١٠، ص٢٦-٢٧؛ **وتفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ج٦، ص٣١٣-٣١٤.

٤. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي أبو الفضل ابن حجر العسقلاني، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب (بيروت: دار المعرفة، د ط، ١٣٧٩هـ)، ج٣، ص٢٤٨-٢٤٩.

يُولد على معرفة الله والإقرار به. فلا تَجِدُ أَحَدًا إلا وهو يُقِرّ بأن له صانعاً، وإن سَمَّاه بغير اسمه، أو عبد معه غَيْرَهُ"[1].

وقال الأزهري في "تهذيب اللغة": "وقال أَبُو الْهَيْثَم: وقولُ النَّبِي ﷺ: «كلُّ مولود يُولَد على الفِطرة»، يَعْنِي الخِلْقة الَّتِي فُطِر عَلَيْهَا فِي الرَّحِم من سَعَادَة أَو شقاوة، فَإِذا وَلَدَ يَهوديَّان هوّدَاه فِي حُكم الدُّنْيَا، أَو نصرانيّان نصّراه فِي الحكم، أَو مجوسِيان مَجَسَّاه فِي الحُكم، وَكَانَ حُكمه حكمَ أَبَوَيْهِ حتّى يُعَبّر عنه لسانه، فإِن مات قبل بُلُوغه مات على ما سَبق لَهُ من الفِطرة الَّتِي فُطِر عليها، فهذه فِطرةُ المولُود.

وفِطْرَةٌ ثَانِيَة: وَهِي الكلمةُ الَّتِي يصيرُ بهَا العبدُ مُسلماً، وَهِي شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله، وَأَن مُحَمَّدًا رسولُه جَاءَ بالحقّ من عِنْد الله عزّ وَجل، فَتلك الفِطْرةُ: الدِّينُ. وَالدَّلِيل على ذَلِك: حديثُ البَراء بن عازِب عَن النَّبيّ ﷺ أَنه علّم رجلا أَن يَقُول إِذا نَام وَقَالَ: «فإِنّك إِن مُتَّ من ليلتك مُتَّ على الفِطْرة»"[2][3].

فقوله ﷺ: «يُوْلَدُ عَلَى الفِطْرَة» أنهم خُلِقُوا على فِطْرَة دينِ التوحيد والاقرار بالخالق ومحبته وإخلاص الدِّين له، و"أن خلقهم في أصل النشأة على الفطرة السليمة فكل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يخرجانه عنها كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ وشبه ذلك بخروج البهيمة صحيحة سالمة حتى يجدعها صاحبها وثبت عنه أنه قال: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»، فإذا تركت النفس وفطرتها لم تؤثر على محبة باريها وفاطرها وعبادته وحده شيئا ولم تشرك به ولم تجحد كمال ربوبيته"[4].

---

١. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، ج٣، ص٤٥٧؛ وانظر: **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، ص٦٤٠.

٢. يقصد به حديث البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْصَى رَجُلًا، فَقَالَ: «إِذَا أَرَدْتَ مَضْجَعَكَ، فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَا وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الفِطْرَةِ». أخرجه البخاري في **صحيحه**، باب ما يقول إذا نام، حديث رقم (٦٣١٣)، ج٨، ص٦٩؛ ومسلم في **صحيحه**، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث رقم (٥٧)، ج٤، ص٢٠٨٢.

٣. **تهذيب اللغة**، الأزهري، ج١٣، ص٢٢٣؛ وانظر: **غريب القرآن**، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر (دار الكتب العلمية: د ط، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م)، ص١٥١.

٤. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، (بيروت: دار المعرفة، د ط، ١٣٩٨هـ،١٩٧٨م)، ص١٧٣.

وفي هذا دلالة عظيمة على أن الناس كلهم منذ آدم عليه السلام كانوا على الحنيفية أي الإسلام الدِّين الحق، وأن ما يصيب النفس الإنسانية بعد ذلك من تمرد وخروج عن تلك الفطرة السليمة من شرك وكفر وإلحاد إنما هو طارئ على الأصل وخروج عن تلك الحنيفية بسبب عوامل مختلفة أثرت على تلك الفطرة فدنَّستها وحرفتها عن أصلها.

ومما يؤيد هذا ما قاله تعالى في محكم آياته: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف]، يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على الإقرار بربوبيته وجَبَلَهُم عليه، كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض[1].

وهذه الآية تتضمن العقيدة الإسلامية لنشأة الدين؛ إذ يعرف فيها القرآن حقيقة الباعث على التديّن، فقد استخرج الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم التي سوف توجد جيلاً بعد جيل في قرن بعد قرن، وسألهم: ألست بربكم؟ فأجابوا: بلى .. فكانت الفطرة التي خلق الله عليها الإنسان فطرة سليمة من حيث استطاعتها التعرف على الله دون حاجة إلى وسيط، فإذا انحرفت عن ذلك بعد ذلك فلا علّة لها ولا عذر. ولذلك فقد أبرز الله تعالى الحكمة من هذا السؤال والناس لا يزالون في عالم الذر يوم أن أخذ الله عليهم هذا الميثاق فقال تعالى: ﴿ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾، أو ﴿ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف]، وقد فسّر ابن عباس آية الأعراف التي سبق الإشارة إليها بقوله: «إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد مَن أعطاه الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفي به نفعه الميثاق الأول، ومَن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول أي على الفطرة»[2]، ومن هنا ندرك حقيقة أن التدين مرتبط بالفطرة وهي الميثاق الأول وهو قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ

---

١. انظر: **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ج٣، ص٥٠٠؛ و**جامع البيان**، الطبري، ج١٣، ص٢٢٢؛ و**أضواء البيان**، الشنقيطي، ج٢، ٤٣-٤٤؛ و**تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، ص٣٠٨.

٢. أثر ابن عباس هذا أخرجه الطبري في **تفسيره** بإسناده عند تفسير هذه الآية، ج١٣، ص٢٣٠-٢٣١؛ وأيضاً نقلــه ابن كثير في **تفسيره**، ج٣، ٥٠٢؛ والسيوطي في تفسيره **الدر المنثور**، ج٣، ص٦٠٢.

ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم][1].

والخلاصة أن الدِّين الذي أنزله الله على البشر جميعاً وبعث به الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام على امتداد التاريخ البشري مصدره الوحي الإلهي، وأنه فِطْرَةٌ من الله فَطَر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، وأن الفطرة الصحيحة هي الإيمان بالله الخالق جل جلاله وهو الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته إلى قيام الساعة.

ولعل الحكمة من تكفُّل الله عز وجل بإنزال الدِّين على عباده وجعل الدِّين إلهي المصدر ولم يجعله للإنسان لأنه تعالى له السيادة المطلقة وله الخلق والأمر على عباده وله الحكمة البالغة ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾ [الأعراف:٥٤]، وهو أعلم سبحانه بعباده ومدى نطاق قدراتهم وطاقاتهم العقلية والذهنية، ويعلم ما ينفعهم ويصلح حالهم، وما يضرهم ويفسد مآلهم ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك]، ولذا فهو سبحانه له حق التشريع يشرّع لعباده من الأحكام والشرائع ما فيه سعادةً لهم، وتزكيةً لنفوسهم، وتهذيباً لأخلاقهم، وتحقيقاً لمصالحهم، ولم يدع الأمر لعقل الإنسان بأن يخترع له من الدِّين والآلهة ما يحلو له ويستحسنه عقله من المخلوقات لأنه قاصر عن معرفة حقيقة الدِّين ومعرفة الإله وصفات الألوهية بعقله استقلالاً وعاجز بقدرته عن التوصل إلى الدِّين الحق والإله المعبود بحق.

ثانياً: الدِّينُ الخالصُ هو الأَصْلُ والشِّركُ طارئٌ:

بما أن الدِّين هو الفطرة التي فطر اللهُ الإنسانَ عليه؛ إذاً فهو الأصل في النفس الإنسانية أن تعرف ربها وخالقها وتعبده وتوحِّده وتقرُّ له بالوحدانية، وما الشرك والوثنية إلا طارئ على النفس البشرية خلال مراحل تاريخها. والقرآن يؤكد هذه الحقيقة ويوضِّحها حق التوضيح في قوله عز وجل: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [البقرة]، والأمة الواحدة التي كانت عليها البشرية هي أمة التوحيد الحق والهدى من لدن آدم عليه السلام إلى أول رسول وهو نوح عليه السلام. وعندما وقع الاختلاف بين الناس في الدِّين وانحرفوا عن جادَّة التوحيد وانتكست فطرهم بعث الله لهم الأنبياء

١. انظر: **الأديان القديمة في الشرق**، رؤوف شلبي (القاهرة: دار الشروق، ط٢، ١٩٨٣م)، ص٣٦-٣٧.

والمرسلين كما قال عز وجل:﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [يونس]. عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ بَيْنَ نُوحٍ وَآدَمَ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ، فَاخْتَلَفُوا فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ». قَالَ: وَكَذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا»[1]، فالناس كانوا في أول عهدهم أمة واحدة على التوحيد الخالص، ثم طرأ عليهم الشرك في زمن نوح عليه السلام، فبعث الله إليهم نوحاً فكان أول رسول يبعث ثم بعث بعده النبيين والرسل ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء].

وأياً كان أسباب هذا الاختلاف ودواعي الوقوع في الشرك؛ فالحقيقة التي يؤكدها القرآن هي أن الدِّين عند البشرية لم يستمر صافياً نقياً على الفطرة التي كان عليها الإنسان الأول وإنما دخله الشرك وأفسدته الوثنية حتى أصبح ديناً وثنياً ملوثاً بما اخترعه عقل الإنسان من صور التدين والعبادة المبتدعة للآلهة المزعومة. ولهذا كانت هناك حاجة ماسة لئن يبعث الله الأنبياء والرسل لتصحيح المفاهيم وإعادة البشرية إلى جادة الصواب في دينها ومعبودها؛ لذلك أكّد القرآن أن الرسل والأنبياء إنما بعثوا بالتوحيد الخالص الذي انحرفت عنه البشرية واستبدلته بالوثنية، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل]، وهكذا استمرت البشرية بعد ذلك متقلبة في تديُّنها ما بين الوحدانية والوثنية وكان الأنبياء والرسل يبعثون تترى على أقوامهم لتذكيرهم بتوحيد الفطرة والميثاق الذي أخذ منهم وهم ما بين مكذّب ومصدّق قال تعالى:﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۖ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۖ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المؤمنون].

---

١. أخرجه الطبري في **تفسيره**، ج٤، ص٢٧٥؛ والحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ،١٩٩٠م)، حديث رقم (٤٠٠٩)، ج٢، ص٥٩٦. وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي؛ وصحّحه الألباني في الصحيحة، انظر: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، ج٧، ص٨٥٤.

ثالثاً: الدِّينُ دينان: حقٌّ وباطلٌ:

لقد قسَّم القرآن الكريم الأديان التي عليها البشرية من حيث الحكم عليها إلى دينَين:

الأول: الدِّين الحق: ورد في القرآن الكريم وصف الدِّين بالحق في موضعين[1]:

اولهما: في قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح][2]. والدِّين الحق كما هو ظاهر الآية أن المراد به دين الإسلام الذي أرسل الله به رسوله محمد ﷺ إلى الخلق أجمعين ليكون ظاهراً وعالياً على سائر الأديان بالحجة والبرهان، والسيف والسنان[3]، وقد أجمع أهل التفسير على هذا المعنى[4]. والتعبير عن الإسلام بالهدى ودين الحق تنويهاً بفضله وتمييزاً له عن غير من الأديان الأخرى[5]؛ إذ أن دين الإسلام الموصوف بالحق اشتمل على "بيان الحق من الباطل في أسماء الله وأوصافه وأفعاله، وفي أحكامه وأخباره، والأمر بكل مصلحة نافعة للقلوب، والأرواح والأبدان من إخلاص الدِّين لله وحده، ومحبة الله وعبادته، والأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الشِّيَم، والأعمال الصالحة والآداب النافعة، والنهي عن كل ما يضاد ذلك ويناقضه من الأخلاق والأعمال السيئة المضرة للقلوب والأبدان والدنيا والآخرة"[6].

---

١. ورد وصف الدِّين بالحق في موضع ثالث في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور]. إلّا أن المراد بالدِّين الحق هنا معناه اللغوي أي الحساب والجزاء وليس الدِّين الاصطلاحي، قال ابن كثير: "قال ابن عباس: ﴿دِينَهُمُ﴾ أي: حسابهم، وكل ما في القرآن ﴿دِينَهُمُ﴾ أي: حسابهم. وكذا قال غير واحد". والمعنى: أي: جزاءهم على أعمالهم، الجزاء الحق، الذي بالعدل والقسط، يجدون جزاءها موفرا، لم يفقدوا منها شيئا. انظر: **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ج٦، ص٣٤؛ و**تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، ص٥٦٣.

٢. وردت هذه الآية في ثلاثة مواضع في القرآن: في سورة التوبة، الآية:٣٣؛ وفي سورة الفتح: الآية:٢٨؛ وفي سورة الصف، الآية:٩.

٣. انظر: **تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، ص٣٣٥.

٤. انظر: **جامع البيان**، الطبري، ج٢٢، ص٢٦٠؛ **التفسير الكبير**، الرازي، ج١٦، ص٣٢-٣٣؛ و**معالم التنزيل**، البغوي، ج٢، ص٣٤٠-٣٤١؛ و**تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ج٤، ص١٣٦.

٥. انظر: **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج١٠، ص١٧٣.

٦. **تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، ص٣٣٥.

وثانيهما: في قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ [التوبة]، والمراد بدين الحق في هذه الآية قيل: الدِّين الصحيح، وقيل: الثابت، وقيل: دين الإسلام، وقيل: دين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، وقيل: الحق هو الله، وبدينه هو الإسلام[1].

والملاحظ أنَّ كل هذه المعاني لا تختلف من حيث المضمون بل تتفق في معناها، فدين الحق هو دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ وهو دين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، المنزَّل من عند الحق تبارك وتعالى، وهو الدِّين الصحيح السالم من التحريف والتبديل، والدِّين الثابت السالم من النسخ والتغيير. ويؤيد هذا ما دلت عليه الآية الأولى السابقة من التصريح بأن دين محمد ﷺ الذي أرسل به هو دين الحق الذي أظهره الله تعالى على كل الأديان.

وأما ما عليه أهل الكتاب من اليهود والنصارى من الديانة فإنه دين غير الحق، وإن زعموا أنهم على دين، لأنه إما بين دين مبدّل، وهو الذي لم يشرعه الله أصلاً وإما دين منسوخ قد شرعه الله، ثم غيّره بشريعة محمد ﷺ، فيبقى التمسك به بعد النسخ غير جائز[2]. أضف إلى هذا أن الدِّين الذي يتقلّده كل منهم إنما هو دين تقليدي وضعه لهم أحبارهم وأساقفتهم بآرائهم الاجتهادية وأهوائهم المذهبية، لا دين الله الحق الذي أوحاه إلى موسى وعيسى عليهما السلام، وإنما كان دين الحق عندهم ما جاءهم به موسى وعيسى عليهما السلام.[3]

وبهذا يتبيّن أن الدِّين الحق في المصطلح القرآني هو دين الإسلام الذي أرسل الله به محمداً ﷺ إلى الخلق أجمعين والقائم على توحيد الله وإفراده بالوحدانية والعبادة وإخلاص الدِّين، وهو ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على ألسنة رسله، وأصل هذا

---

١. انظر: **جامع البيان**، الطبري، ج١٤، ص١٩٨؛ **التفسير الكبير**، الرازي، ج١٦، ص٢٥؛ و**معالم التنزيل**، البغوي، ج٤، ص٣٣؛ و**الدر المنثور**، السيوطي، ج٤، ص١٦٨؛ وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج١٠، ص١٦٤؛ و**تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، ص٣٣٤.

٢. انظر: **تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، ص٣٣٤.

٣. انظر: **تفسير القرآن الحكيم**، محمد رشيد رضا الحسيني، **(تفسير المنار)** (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م)، ج١٠، ص٢٥٣-٢٥٤.

الدِّين وفروعه روايته عن الرسل[1]، فهو دين واحد بعث الله به الأنبياء والرسل أجمعين من أولهم نبي الله آدم عليه الصلاة والسلام إلى آخرهم محمد ﷺ. فدين الإسلام هو الدِّين الحق، والدِّين الكامل والمكمّل، والدِّين الظاهر والمهيمن، وأن كل ما سواه من الأديان فهي أديان باطلة وضلال ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تشتمل على الحق كلّه فضلاً عن تفردها به.

وما كان دين الأنبياء حقّاً إلا لما اشتمل عليه من الحق، كأن الحقَّ منحصرٌ فيه، وإذا كان هو الحق، لزم أن كل ما دل عليه من المسائل الإلهية والغيبية والتشريع والأحكام وغيرها، حق ومطابق لما في الواقع، وذلك لكونه وحيٌ إلهي المصدر فهو الهدى الذي أمر الله باتباعه والمقبول عنده والظاهر والمهيمن على ما سواه من الأديان.

الثاني: الدِّين الباطل: وهو نقيض الدِّين الحق، فكل دين دان به الإنسان من الأديان الوضعية الوثنية والأديان المحرَّفة المبدَّلة التي خرجت عن صبغتها السماوية لتصبح أديان وثنية في عقائدها وتشريعاتها فهي أديان باطلة، فمن عَبَدَ اللهَ تعالى ووحّده على طريقة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فهو على دين الحق، ومن عبدَ غيره من الآلهة والمعبودات فهو على دين باطل ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ٣ ﴾ [محمد]، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢ ﴾ [الحج]، وهذه الآية تقرر أن الله تعالى هو الحق أي: الثابت الإلهية والاستحقاق للعبادة وحده، وأن كل ما يُدعى إلهاً غيره باطل وكفر[2]. وإذا كان الله تعالى هو الحق فكل ما يتصل به فهو حق: فوعده حق، ولقاؤه حق، ودينه حق، وعبادته هي الحق، وأن كل ما سواه من الآلهة والمعبودات كالأصنام والأنداد والأوثان، وكل ما عُبد من دونه تعالى فهو باطل، هو باطل في نفسه، وعبادته باطلة، ودينه باطل[3] قال تعالى: ﴿ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٦٧ ﴾ [النحل]، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٥٢ ﴾ [العنكبوت].

---

١. انظر: **شرح العقيدة الطحاوية**، صدر الدين محمد بن علاء الدين ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني (دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، ص٥١٨.

٢. الشنقيطي، **أضواء البيان**، الشنقيطي، ج٥، ص٢٩٣.

٣. انظر: **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ج٥، ص٤٤٩، الشوكاني، **فتح القدير**، الشوكاني، ج٣، ص٥٠٥، **تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، ص٥٤٣.

وهكذا نلاحظ أن الدِّين الباطل هو نقيض الدِّين الحق، وأن من لم يدين بالحق بالضرورة يدين بدين الباطل سواء كان ديناً وثنياً أو محرفاً أو إلحادياً، ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس]، أي ليس بعد عبادة الله تعالى ودينه إلا الضلال، فكل معبود سواه باطل، وكل دين سوى دينه باطل. قال الشوكاني في تفسير هذه الآية: "والاستفهام في قوله: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ للتقريع والتوبيخ . . . والمعنى: أي شيء بعد الحق إلا الضلال؟ فإن ثبوت ربوبية الرب سبحانه حق بإقرارهم فكان غيره باطلا، لأن واجب الوجود يجب أن يكون واحدا في ذاته وصفاته ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۖ أي: كيف تستجيزون العدول عن الحق الظاهر، وتقعون في الضلال إذ لا واسطة بينهما؟ فمن تخطى أحدهما وقع في الآخر"[1]. فالحق والباطل شيئان متضادان لا اجتماع بينهما فإذا كان دين الإسلام هو الدِّين الحق فما عداه من الأديان باطلة.

وذكر القرآن الكريم أن الدِّين الحق هو الذي يثبت ويستقر، وأن الدِّين الباطل هو الذي يزول ويضمحل مهما علا شأنه، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء]، يقول الشنقيطي في هذه الآية: "الحق في لغة العرب: الثابت الذي ليس بزائل ولا مضمحل، والباطل: هو الذاهب المضمحل. والمراد بالحق في هذه الآية: هو ما في هذا القرآن العظيم والسنة النبوية من دين الإسلام، والمراد بالباطل فيها: الشرك بالله، والمعاصي المخالفة لدين الإسلام. وقد بيّن جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الإسلام جاء ثابتاً راسخاً، وأن الشرك بالله زَهَق: أي ذهب واضمحل وزال . . . ثم بين جل وعلا أن الباطل كان زهوقا، أي مضمحلاً غير ثابت في كل وقت، وقد بيّن هذا المعنى في غير هذا الموضع، وذكر أن الحق يزيل الباطل ويذهبه، كقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سبأ]، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنبياء]"[2].

والدِّين الباطل على الرغم من بطلانه وعدم قبوله عند الله تعالى إلا أن القرآن الكريم أطلق عليه مسمّى "الدين" كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران]، وفي قوله جل جلاله:

---

١. **فتح القدير**، الشوكاني، ج٢، ص٥٠٤

٢. **أضواء البيان**، الشنقيطي، ج٣، ص١٨٠.

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ [الكافرون]، وفي قوله عز وجل: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ۝٢٦ ﴾ [غافر]. فهذه الآيات وغيرها اطلقت مسمى "الدين" على تلك الأديان الوضعية والوثنية باعتبار تدينُّهم بها حتى أصبحت ديناً لهم، لها طقوس وشعائر وعقائد تميزها فيما بينها، ولها أتباعها الذين يعتنقونها ويمارسون شعائرها. وفي هذا دلالة واضحة على أن مسمّى "الدين" في القرآن الكريم لا ينحصر في الدِّين الحق بل يشمل أيضاً الدِّين الباطل، ولا يعني إطلاق القرآن مسمّى الدِّين عليه جواز التديّن به أو تصحيح عقائده وطقوسه والرضا به فهذا غير مقبول ولا يصح ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ [الزمر:٧].

ومثل ذلك أيضاً ما ورد في القرآن الكريم من إطلاق مسمّى "الملّة" على الدِّين الحق وعلى الدِّين الباطل؛ فأما إطلاق الملّة على الدِّين الحق فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٦١ ﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى:ا﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ۝٧٨﴾ [الحج]، والمراد بها هنا الدِّين الحق وهو دين الإسلام.

ومن اطلاقها على الدِّين الباطل قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٣ ﴾ [إبراهيم].

وقال سبحانه حكاية عن نبيه يوسف – عليه السلام – : ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٧ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۝٣٨ ﴾ [يوسف]، فأطلق الملّة على المعنيين.

و الملَّة في شرعنا هي دين الإسلام، الدِّين الحق الذي أرسل الله به الرسل جميعاً؛ من ثم فالدِّين والملّة في شرعنا بمعنى واحد، فاللفظان متحدان في الذات والاستعمال، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران]، وقال جلا وعلا: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٦١ ﴾ [الأنعام].

ويرى الراغب الأصفهاني أن الفرق بين الملّة وبين الدّين: "أنّ الملّة لا تضاف إلّا إلى النّبيّ عليه الصلاة والسلام الذي تسند إليه، نحو:﴿ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [آل عمران: ٩٥]، ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ ﴾ [يوسف: ٣٨]، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله، ولا إلى

آحاد أمّة النّبيّ ﷺ، ولا تستعمل إلّا في حملة الشّرائع دون آحادها، لا يقال: ملّة الله، ولا يقال: ملّتي وملّة زيد كما يقال: دين الله ودين زيد، ولا يقال: الصلاة ملّة الله ... وتقال الملَّة اعتباراً بالشيء الذي شرعه الله. والدّين يقال اعتباراً بمن يقيمه إذ كان معناه الطاعة"[1].

ويَخلُص الدكتور القفاري إلى "أن الملّة إذا دخلت عليها أل [الاستغراقية] فهي مخصّصة بالدِّين الذي شرعه الله على أنبيائه. وإن تجردت من أل فهي بحسب ما تضاف إليه فقد تطلق على الدِّين الحق المنزَّل، وقد تطلق على الدِّين الباطل والأهواء والدعاوى التي اخترعها البشر وجعلوها لهم ديناً، وليس لها أصل سماوي"[2].

رابعاً: دين الإسلام: عامٌّ وخاصٌّ:

لقد أخبر القرآن الكريم بأن الله تعالى بعث الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بدعوة واحدة، وأن حجَّته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً وكلّهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء]، وهذا الاتفاق في الدعوة بين الأنبياء والرسل يلزم منه الاتفاق في الدِّين الذي يدعون إليه؛ لأنهم كلُّهم بعثوا من مصدر واحد وهو الله سبحانه وتعالى، قال عز وجل: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [الشورى:١٣]، وعلى الرغم من هذا الاتفاق في الدعوة والدِّين إلا أن هناك خصوصية لكل نبي ورسول في التشريع والأحكام حيث اختلفت شرائعهم كلّ حسب ظروفه وبيئته، قال تعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ [الحج: ٦٧]، فلكل

١. الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ص٧٧٣-٧٧٤.

٢. انظر: القفاري، ناصر بن عبدالله، **مقدمة في الملل والنحل** (الرياض: مدار الوطن للنشر، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م)، ص٥-٩؛ وسمك، **مدخل لدراسة الأديان**، ص٤٢-٦٠.

نبي ورسول شريعة ومتعبّداً يخصّه دون بقية الأنبياء والرسل، وهذا هو المقصود بقوله ﷺ: («وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»[1].

كما أخبرنا القرآن الكريم بأن الدِّين الذي بعث الله به الأنبياء والرسل هو دين الإسلام، حيث صرّح القرآن في أكثر من موضع وعلى لسان الأنبياء والرسل بأن دينهم الإسلام، إلا أن لإطلاق الإسلام في القرآن الكريم معنيان هما:

أولاً: الإسلام بالمعنى العام:

ويشمل الإسلام الذي بعث الله به جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام والقائم على "إسلام الوجه لله، وطاعته، وعبادته وحده، والبراءة من الشرك، والإيمان بالنبوات، والمبدأ، والمعاد"[2].

والإسلام بهذا المعنى هو المقصود بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، قال الزجّاج عند تفسير هذه الآية: "فلم يبعث نبي إلا به، وإن اختلفت شرائعهم، فالعقد توحيد اللَّه عزَّ وجلَّ والإيمان برسله وإن اختلفت الشرائع"[3]. وقال الطبري في معنى الدِّين في هذه الآية: "أي: إنَّ الطاعةَ التي هي الطاعة عنده، الطاعةُ له، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذّلة، وانقيادُها له بالطاعة فيما أمر ونهى، وتذلُّلها له بذلك، من غير استكبار عليه، ولا انحراف عنه، دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودة والألوهة"[4].

وهو الغاية من إرسال الأنبياء والرسل قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء]. وهو ملّة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حينما سمانا مسلمين كما قال تعالى:﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الحج: ٧٨]، ويتناول الإسلام بهذا المعنى "إسلام كل أمة متبعة لنبي من أنبياء الله الذي بعث فيهم،

---

١. أخرجه البخاري في، **صحيحه**، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [مريم: ١٦]، حديث رقم (٣٤٤٣)، ج٤، ص١٦٧.

٢. أبو زيد، بكر بن عبد الله، **الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان** (الرياض: دار العاصمة، ط١، ١٤١٧هـ)، ص٥١.

٣. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م)، ج١، ص٢١٣.

٤. الطبري، **جامع البيان**، ج٦، ص٢٧٥.

فيكونون مسلمين، حنفاء على ملّة إبراهيم بعبادتهم لله وحده واتباعهم لشريعة من بعثه الله فيهم"[1].

وقد ورد في القرآن الكريم إطلاق دين "الإسلام" على دعوة الأنبياء والمرسلين السابقين، حيث سماهم المسلمين، ووصفهم بالإسلام بهذا المعنى العام، فقال عن نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [يونس]، وقال عن إبراهيم وابنيه إسماعيل وإسحاق وذريتهم: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ... وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة]، وقال عن أنبياء بني إسرائيل قاطبة: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال عن لوط وأهل بيته: ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الذاريات]، وقال عن يوسف: ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف]، وقال عن موسى وقومه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يونس]، وقال عن سليمان وملكة سبأ: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل]، وقال عن الحواريين أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [المائدة].

ومن خلال هذه الآيات يتبيّن لنا بوضوح أن دين الإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين وأن أتباع كل نبي ورسول هم مسلمون، وأن دينهم كلهم واحد أمروا بتبليغه للناس، ولهذا اتفقت كلمتهم في دعوتهم لأقوامهم أن يبدؤا بقولهم: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥][2]، والواجب الإيمان

---

١. أبو زيد، **الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان**، ص٥٥.

٢. انظر: **دعوة التقريب بين الأديان**، أحمد بن عبدالرحمن القاضي، (جدة: دار ابن الجوزي د ط، د ت)، ص٢٧؛ **الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وبين غيره من الأديان**، أبو زيد، ص٥٥.

والتصديق بكل ما أنزله الله عز وجل على هؤلاء الأنبياء والمرسلين دون تفريق بين أحد منهم، ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾[البقرة].

ثانياً: الإسلام بالمعنى الخاص:

والمقصود به الدِّين الذي بعث الله به محمداً ﷺ على الخصوص عقيدة وشريعة، وهو الدِّين الحق القائم على إخلاص الدِّين لله عز وجل والمتضمن للهدى والبيان، والحلال والحرام ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩ ﴾ [الصف]، ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ [الأنعام].

وقد وصفه الله بأنه الدِّين الخاتم لرسالات الأنبياء والمرسلين ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴾ [الأحزاب:٤٠]. والذي ارتضاه الله عز وجل لنـــــا ديناً ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: ٣]. والذي نسخ الله به جميع الرسالات والشرائع السابقة وهيمن على ما عداه ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]. ولا يقبل الله من أحد ديناً سواه ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾ [آل عمران]، وجعل الله رسالته عامة لجميع الخلق ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[1].

فلا يجوز لبشر من أفراد الخلائق أن يتعبّد الله بشريعة غير شريعة الإسلام الذي بعث به محمداً ﷺ، فمن اتبعه وآمن به فقد أفلح ونجا، ومن أعرض عنه فقد خاب وخسر ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ ﴾ [البقرة].

---

١. أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الإيمان، **باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام**، حديث رقم (٢٤٠)، ج١، ص١٣٤.

وذكر القرآن الكريم المقومات والأصول التي يقوم عليها دين الإسلام؛ وهي أصول عقدية تتعلق بعقيدة المسلم وإيمانه بربه عز وجل وبالنبوات وبالغيبيات، ومقومات تشريعية تتعلق بعبادته وعلاقته بربه وعموم أفراد المجتمع، وعلاقاته الاجتماعية والاقتصادية وبالمسلمين وغيرهم في حالة السلم والحرب وغيرها، وهذه كلها تدل على شمولية دين الإسلام وأنه منهج حياة متكامل في كل جوانبها المتعددة والمختلفة.

خامساً: للدِّين خَصَائِصٌ وصِفَاتٌ:

للدِّين في القرآن الكريم خصائصٌ ومميزاتٌ تُمثِّل سماتٌ وصفاتٌ ينفرد بها، ويستقل بها عما سواه من الأديان، ويمكن أن نستخرج تلك الخصائص والمميزات من خلال نصوص الآيات القرآنية المتعلقة بالدين، حيث نلاحظ أن الدِّين في القرآن الكريم ذُكر مقروناً بخمس خصائص وصفات هي: الدِّين لله، والدِّين الخالص، والدِّين القيم، والدِّين الحنيف، والدِّين الحق، وهذه تمثل خصائصه وصفاته التي انفرد بها، وسبق الحديث عن الدين الحق، وهنا يمكن أن نوضِّح باقي هذه الخصائص والصفات في الآتي:

أولاً: الدِّين لله:

لقد اختُصَّ دين الإسلام في القرآن الكريم بأنه دين الله، حيث وصفه الله عز وجل بأنه "دين الله" في قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران]، وفي قوله: ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ ﴾ [النصر]، وفي قوله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [البقرة]، و"التعريف في الدِّين تعريف الجنس، لأن الدِّين من أسماء المواهي التي لا أفراد لها في الخارج فلا يحتمل تعريفه معنى الاستغراق. واللام الداخلة على اسم الجلالة لام الاختصاص أي حتى يكون جنس الدِّين مختصاً بالله تعالى"[1]. وأضاف تعالى الدِّين إلى نفسه الشريفة من باب التشريف والتعظيم لدين الإسلام على غيره من الأديان[2].

وإضافة الدِّين إلى "الله" يوحي بدلالات عظيمة في مفهوم الدين، حيث يدل على أن الدِّين في المفهوم القرآني إلهي المصدر وأنه نزل من عند الله تعالى كما سبق إثباته، وأن الله تعالى شرّفه وعظَّمه بإضافته إلى نفسه الشريفة وأنزل به كتبه وأرسل به رسله، مما يشير إلى اختصاصه به وأن كل ما يتضمنه من عقائد وشرائع وأحكام هي

١. **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج٢، ص٢٠٨.

٢. انظر: المصدر السابق، ج٣، ص٣٠١.

ربانية وإلهية في مصدرها، وليس للإنسان فضلٌ في إنزالها أو تشريعها وإنما واجبه الاستسلام والانقياد والطاعة. ولهذا نجد القرآن الكريم يؤكد على هذا المعنى عندما ينسب حكم جلد الزاني والزانية إلى الله وأنه "دين الله" في قوله: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [النور:٢]، أي شرعه وحكمه وقضائه الذي أمر وحكم به لكيلا يعطي لأحد حق التدخل في تغييره وتبديله إلا بإذن منه سبحانه وتعالى. وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي للإنسان أن يتخذ له ديناً "غير دين الله الذي هو الإسلام وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها أي والحال أن جميع من في السماوات والأرض من العقلاء قد خضعوا له – تعالى – وانقادوا لأمره طائعين وكارهين"[١].

كما يوحي وصف الدِّين بأنه "لله" في قوله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٩٣]، إلى إخلاص الدِّين لله تعالى وأن تكون السيادة والحكم والعبودية لله وحده لا ينازعه معه شريك ولا مثيل، وأن الأمر بقتال الكفار والمشركين غايته أن يكون "دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان"[٢]، وضمانة ألا يفتن الناس عن دين الله، وألا يصرفوا عنه بالقوة أو ما يشبهها، وذلك بأن يعز دين الله ويقوى جانبه، ويهابه أعداؤه، فلا يجرؤوا على التعرض للناس بالأذى والفتنة، ولا يخشى أحد يريد الإيمان أن تصده عنه قوة أو أن تلحق به الأذى والفتنة[٣].

ثانياً: الدِّين الخالص:

ورد اقتران الدِّين بالإخلاص في اثني عشر موضعاً في القرآن الكريم، منها موضع واحد جاء فيه الدِّين معرفة ومعرفاً بإضافة الإخلاص في قوله عز وجل: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣]، واللام في ﴿لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ لام الملك الذي هو بمعنى الاستحقاق، أي لا يحق الدِّين الخالص، أي الطاعة غير المشوبة إلا له على نحو ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [الفاتحة:٢]، وتقديم المسند لإفادة الاختصاص فأفاد قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ أنه مستحقه وأنه مختص به"[٤]. "وجملة: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ

---

١. انظر: **تفسير المنار**، رضا، ج٣، ص٢٩١.

٢. انظر: **تفسير القرآن الكريم**، ابن كثير، ج١، ص٥٢٥.

٣. انظر: **في ظلال القرآن**، سيد قطب (بيروت – القاهرة: دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ)، ج١، ص١٩٠.

٤. **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج٢٣، ص٣١٧–٣١٨.

ٱلۡخَالِصُ﴾ مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإخلاص، أي: إن الدِّين الخالص من شوائب الشرك، وغيره: هو لله، وما سواه من الأديان فليس بدين الله الخالص الذي أمر به"[1].

وبما أن الدِّين الخالص مستحقاً لله تعالى وخاصاً به؛ نجد أن الله تعالى في القرآن الكريم أمر بإخلاص الدِّين له في أمرين عظيمين وهما: العبادة والدعاء؛ وذلك في مواضع في القرآن الكريم.

أما الأمر بالعبادة وإخلاص الدِّين فدلّ على وجوب "الإخلاص وإفراد المعبود بالقصد، في كل ما أمر بالتقرب به إليه، وأن الإخلاص في العبادة لله وحده، لا بدَّ منه، وقد بيّن جل وعلا، أنه ما أمر بعبادة، إلا عبادة يخلص له العابد فيها، أما غير المخلص فكل ما أتى به من ذلك، جاء به من تلقاء نفسه، لا بأمر ربه"[2]. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ ﴾[الزمر]، وقوله: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ ﴾ [الزمر]، وقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ ﴾ [الزمر]. ونلحظ هنا في الآية الثالثة أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ "بأن يُعيد التصريح بأنه يعبد الله وحده تأكيداً لقوله: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ ﴾ [الزمر]، لأهميته، وإن كان مفاد الجملتين واحداً لأنهما معا تفيدان أنه لا يعبد إلا الله تعالى باعتبار تقييد ﴿ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ ﴾ الأول بقيد ﴿مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾، وباعتبار تقديم المفعول على ﴿أَعۡبُدُ﴾ الثاني فتأكد معنى التوحيد مرتين ليتقرر ثلاث مرات، وتمهيداً لقوله:﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ [الزمر:١٥] وهو المقصود"[3]. كما أنَّ هذا لا يُعدُّ تكراراً في الأمر بالعبادة وإخلاص الدين؛ "لأن الأول: إخبار بأنه مأمور من جهة الله بالإتيان بالعبادة، والثاني: إخبار بأنه أُمر بأن لا يعبد أحداً غير الله، وذلك لأن قوله: ﴿أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ ﴾ لا يفيد الحصر، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ ﴾ يفيد الحصر يعني الله أعبد ولا أعبد أحداً ســـــواه، والدليل عليه أنه لما قال بعد: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ ﴾ قال بعده: ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ [الزمر:١٥]"[4].

---

١. **فتح القدير**، الشوكاني، ج٤، ص٥١٥.

٢. **أضواء البيان**، الشنقيطي، ج٦، ص٣٥٢.

٣. **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج٢٣، ص٣٥٩.

٤. **التفسير الكبير**، الرازي، ج٢٦، ص٤٣٢-٤٣٣.

وأما الأمر بالدعاء مع إخلاص الدِّين فقد ورد الأمر به في ثلاثة مواضع في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأعراف]، وفي قوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [غافر]، وفي قوله: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر]، واختصاص الدعاء بالأمر به مع إخلاص الدِّين لمكانته وشرفه إذ هو من أجل العبادات لله عز وجل وأشرفها وأعلاها منزلة بعد أركان الإسلام؛ لأنه يدل على شدة افتقار العبد لربه عز وجل وحاجته إليه وتضرعه وانكساره بين يديه، ولهذا القرآن الكريم أكثر من ذكر دعاء الأنبياء والرسل في قصص الأنبياء والمرسلين في حالات شدتهم ومحنتهم وقسوة ظروفهم وأظهر أثره في دعوتهم ونجاتهم.

وهذا المفهوم للدِّين الخالص والتأكيد على علاقته بإخلاص العبادة والدعاء في القرآن الكريم يدلُّنا على أهمية ومكانة الإخلاص في دين الإسلام ومنزلته العالية، وأن "إخلاص الدِّين لله هو الدِّين الذي لا يقبل الله سواه فهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل وانزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه"[1]، بل جعل الله عز وجل إخلاص القصد والعبادة له وحده أحسن الدِّين واتباع لملّة إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء: ١٢٥]. والإخلاص لا يراد به التوجه إلى الله في العبادة والدعاء فقط، بل المقصود به أن يتوجه المسلم بأعماله كلِّها إلى الله وحده، دون سواه. الإخلاص يعني أن يتوجه بالأعمال القلبية لله وحده، كما يتوجه بالأعمال الظاهرة[2].

ولعل الحكمة من التأكيد على أهمية الإخلاص في دين الإسلام؛ وأن المسلم يجعل مقصده هو الله دون ما سواه؛ لأن الله تعالى وحده المستحقّ لأن يقصد ويُعبد دون سواه، لأنّه المعبود الذي يتصف بصفات الجلال والكمال، فهو الكامل في ذاته وصفاته سبحانه وتعالى، فهو وحده المطلوب المقصود، فمنه المبتدأ وإليه المنتهى، له الحمد في

---

١. **التحفة العراقية في الأعمال القلبية**، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، (القاهرة: الطبعة السلفية، ط٢، ١٣٩٩هـ)، ص٥٩.

٢. انظر: **مَقَاصِدُ المُكَلفينَ فيمَا يُتَعَبَّدُ به لِرَبِّ العَالمين**، عمر بن سليمان الأشقر (الكويت: مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م)، ص٣٥٧-٣٥٨.

الأولى والآخرة، لا ربَّ غيره، ولا معبود سواه. فمن كانت هذه صفاته، وتلك أفعاله– فإنه الذي يستحق العبادة دون سواه، وهو الذي ينبغي أن يكون المقصد والمعاذ والملاذ. والتوجه إليه وقصده بالعبادة حقه الخالص الذي لا يشركه فيه أحد غيره[1].

كما أن الإنسان مفطور على أن يتوجه إلى الله وحده بالعبادة والاستعانة، فمتى حرم الإنسان من هذا التوجه فإنّه لا يغني عن هذا التوجه شيء، لأن النفوس في تطلاب دائم لمعبودها وخالقها وفاطرها، إن التوجه لغير الله مخالف للفطرة الإنسانية[2].

ومما يوجب على العباد التوجه إلى رب العباد دون سواه أنه سبحانه وتعالى محسن إليهم، متفضل عليهم، وهو غني عنهم، يجلب لهم الخير ويكشف عنهم الضرّ، لا لجلب منفعة إليه من العبد ولا لدفع مضرة، بل رحمة وإحساناً وتكرماً منه وتفضلاً[3].

ثالثاً: الدِّين الحنيف:

الحنيف: هو المائل إلى الإسلام الثابت عليه. والحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم عليه السلام. وأصل الحَنَف الْمَيَلُ، والجمع: حُنَفاء[4]، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة فِي قَول الله جلّ وعزّ: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ﴾ [البقرة: ١٣٥]، قَالَ: مَنْ كَانَ على دين إبراهيمَ فَهُوَ حنيفٌ. قَالَ: وَكَانَ عَبَدَةُ الأَوْثَانِ فِي الجاهليَّة يَقُولُونَ: نَحن حُنَفَاءُ على دين إِبْرَاهِيم، فلمَّا جَاءَ الإسلامُ سَمَّوا المُسْلِمَ حنِيفاً[5]. وقال الأزهري: معنى الحنيفة في الإسلام: الميل إليه والإقامة على عقده[6].

ومن هنا وردت كلمة (حنيفا) في القرآن الكريم مقترنة في مواضع كثيرة بـملّة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل]، وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا

---

١. انظر: المصدر السابق، ص٣٦٨.

٢. انظر: المصدر السابق، ص ٣٧٠.

٣. انظر: المصدر السابق، ص٣٧٥.

٤. انظر: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، ج١، ص٤٥١.

٥. انظر: **تهذيب اللغة**، الأزهري، ج٥، ص٧١؛ و**معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، ج٢، ص١١٠–١١١؛ و**تاج العروس**، الزبيدي، ج٢٣، ص١٦٨–١٧٣؛ و**لسان العرب**، ابن منظور، ج٩، ص٥٦–٥٨؛ و**مجمل اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م)، ص٢٥٤؛ **الغريبَين في القرآن والحديث**، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩م)، ج٢، ص٥٠٢.

٦. **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، ص٢٦٠.

نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران]. ووصفُ الله تعالى لملّة إبراهيم عليه السلام في هذه الآيات بالحنيفية والإسلام، ونفي الشرك عنه، يدُلُّنا على أن المراد بالدِّين الحنيف الوارد في القرآن الكريم، كما في قوله عز وجل: ﴿ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا ﴾ [الروم: ٣٠]، أن المراد به هو ملّة إبراهيم عليه السلام القائمة على إخلاص الدِّين لله عز وجل، والإقرار بربوبيته، وتوحيده في عبادته وحده لا شريك له، واجتناب الشرك وعبادة ما سواه، وهي دين الفطرة التي خلق الله العباد حنفاء عليها، وهذا هو لبُّ وخلاصة دين الإسلام التي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ، ولهذا أمره الله تعالى باتباع ملَّة إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل]، و"معنى كون الإسلام ملّة إبراهيم عليه السلام: أنه جاء بالأصول التي هي شريعة إبراهيم وهي: التوحيد، ومسايرة الفطرة، والشكر، والسماحة، وإعلان الحق"[1].

وإقامة الوجه للدِّين حنيفاً: أي نصبه وتوجيهه إلى الدِّين الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان، بأن يتوجه المسلم بقلبه وقصده وبَدَنِه إلى إقامة شرائع الدِّين الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها. وشرائعه الباطنة كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة بأن تعبد الله فيها كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وخصَّ الله إقامة الوجه لأن إقبال الوجه تبع لإقبال القلب ويترتب على الأمرين سَعْيُ البدن ولهذا قال: (حَنِيفًا) أي: مقبلاً على الله في ذلك معرضاً عما سواه. وهذا الأمر الذي أمر الله به هو ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ﴾ [الروم: ٣٠] ووضع في عقولهم حسنها واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة[2].

وقد هدى اللهُ نبيَّه ورسولَه محمداً ﷺ إلى تلك الملّة الحنيفية التي كان عليها خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال عز وجل:﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأنعام]، وتضمنت هذه الآية حقيقة الصراط المستقيم والملّة الحنيفية وأنها الاستقامة بإخلاص الدِّين لله، والدِّين

١. **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج٨، ص٢٠٠.

٢. **تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، ص٦٤٠.

المعتدل المتضمن للعقائد النافعة، والأعمال الصالحة، والأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح، الذي عليه الأنبياء والمرسلون، خصوصا إمام الحنفاء، ووالد من بعث من بعد موته من الأنبياء، خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو الدِّين الحنيف المائل عن كل دين غير مستقيم، من أديان أهل الانحراف، كاليهود والنصارى والمشركين.

وهذا عموم، ثم خصّص من ذلك أشرف العبادات وهي الصلاة والذبح وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ودلالتهما على محبة الله تعالى، وإخلاص الدِّين له، والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح، وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال، لما هو أحب إليها وهو الله تعالى. ومن أخلص في صلاته ونسكه، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله؛ بل في كل ما يأتيه في الحياة، وما يجريه الله ويقدره في الممات، لأن الجميع لله رب العالمين لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في الملك والتدبير، فكل ذلك مما أمر الله تعالى به وأمراً حتماً لا خروج من التبعة إلا بالامتثال والتسليم لله تعالى[1].

رابعاً: الدِّين القيِّم:

الدِّين القيِّم أي المستقيم الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق[2]. والقَيِّم بِوَزْنِ فَيْعِل، أي: الشديد القيام، والقيام هنا مجاز في الإصابة لأن الصواب يشبه بالقيام[3]. وقد جاء الأمر في القرآن الكريم بإقامة الوجه للدِّين القيِّم في قوله عز وجل: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الروم]، أي: أقبل بقلبك وتوجه بوجهك واسع ببدنك لإقامة الدِّين القيم المستقيم، فنفذ أوامره ونواهيه بجد واجتهاد وقم بوظائفه الظاهرة والباطنة[4]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [الأنعام]، قال الراغب الأصفهاني: وقوله: (دِيناً قِيَماً)، أي: ثابتاً مُقَوِّماً لأمور معاشهم ومعادهم"[5].

وورد في القرآن الكريم إضافة الدِّين إلى "القيّمة" بالتأنيث في قوله عز وجل: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ

---

١. انظر: المصدر السابق، ص٢٨٢.

٢. انظر: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، ج٤، ص١٣٥؛ و**جامع البيان**، الطبري، ج٢٠، ص١١١.

٣. **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج٢١، ص١١٥.

٤. **تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، ص٦٤٣.

٥. **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، ص٦٩١.

دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيِّنة]. ودين القيِّمة "يجوز أن تكون إضافته على بابها فتكون القيمة مرادا به غير المراد بدين مما هو مؤنث اللفظ مما يضاف إليه دين أي دين الأمة القيمة أو دين الكتب القيمة. ويرجح هذا التقدير أن دليل المقدر موجود في اللفظ قبله. وهذا إلزام لهم بأحقية الإسلام وأنه الدِّين القيم ... ويجوز أن تكون الإضافة صوريّة من إضافة الموصوف إلى الصفة وهي كثيرة الاستعمال، وأصله الدِّين القيِّم، فأنَّث الوصف على تأويل دين بملة أو شريعة، أو على أن التاء للمبالغة في الوصف مثل تاء علامة والمآل واحد، وعلى كلا التقديرين فالمراد بدين القيمة دين الإسلام"[1]. و"الْقَيِّمَةُ: فَيْعِلَةٌ مِنَ الْقَوَامَةِ، وهي غاية الاستقامة"[2]، فدين الإسلام أقوم الأديان كما أنَّ القرآن أقوم الكتب، فهو "الملّة القيّمة، قيّمة في ذاتها، وقيّمة على غيرها: ومهيمنة عليه"[3]

والتصريح بوصف القرآن لدين الإسلام بأنه الدِّين القيّم، وديناً قِيَماً، ودين القيّمة، دليل على أنه لا يمكن بعد ذلك بحال من الأحوال أن يعادل ويساوى مع غيره أبداً من الأديان والملل، كما أن الله أخذ العهد على جميع الأنبياء لئن أدركوا محمدا ﷺ ليؤمننَّ به، ولينصرنه وليتبعنه، وأخذ عليهم العهد بذلك. وقد أخبر الرسل أممهم بذلك. فلم يبق مجال في هذا الوقت ولا غيره لدعوة الجاهلية بعنوان مجوّف وحدة الأديان، بل الدِّين الإسلامي وحده"[4].

وتكرر في القرآن الكريم اقتران الأمر بالحنيفية في العبادة والدِّين القيَّم، حيث تكرر ذلك أربع مرات في القرآن الكريم، كما في قوله عز وجل: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف]، وكما ورد في الآيات السابقة، وكلُّها تدل على معنى آخر لقيُّوميَّة الدِّين وهي قيّومية إخلاص الدِّين والعبادة لله سبحانه وتعالى، وإفراده بحقه في الملك والحكم وعبودية الباطن مع إقامة الشعائر والعبادات الظاهرة والاستقامة على طاعته وتوحيده.

ومما تقدم يتبيَّن لنا أن القرآن الكريم عندما تحدّث عن الدين ذَكَرَ مُحدِّدَات ومَعَالمَ ومرتكزات، تبيّن مفهومه، وتُحدِّد معانيه، وتضبط حدوده، وترسم منهجه. وقرّر القرآن أن الدين وإن كان له أصولاً وجذوراً لغوية معيّنة إلّا أن المعنى الاصطلاحي يتجاوزه

١. **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج٣٠، ص٤٨١.
٢. **أضواء البيان**، الشنقيطي، ج٩، ص٤٩.
٣. المصدر السابق، ج٩، ص٤٩.
٤. انظر: المصدر السابق، ج٩، ص٤٧-٤٨.

ويتعداه إلى مفهوم شرعي أوسع وأبعد في المضمون وسعَة الأفق. فالمصطلحات اللغوية يُعَاد صياغتها في المصطلح القرآني فلم تعد الصلاة في القرآن مجرّد الدعاء والتضرع، ولم تعد الزكاة مجرّد التهذيب، ولم يعد الصوم مجرّد الإمساك، وإنما توسع المفهوم القرآني بناء على مراد الشارع وإن لم يلغ المعنى اللغوي لتلك الألفاظ وإنما اعتمد عليها وزاد وأضاف حسب العرف الشرعي الاصطلاحي. والدين من تلك المصطلحات حيث لم يحصُره القرآنُ في المعنى الأصيل بمعنى الحساب والجزاء أو الخضوع والطاعة والذل أو النحلة والمذهب؛ وإنما شمل ذلك وتعداه ليدل على معاني جليلة وآفاق أوسع يمكن من خلالها أن نفهم التصوّر القرآني للدين.

فالدين في المصطلح القرآني: منحةٌ ربانيةٌ، وهبةٌ إلهيةٌ، أنزلها الله إلى خلقه وعباده تفضلاً منه وتكرُّماً، ورحمةً بهم، وتيسيراً لهم، وتحقيقاً لمصالحهم، وإصلاحاً للإنسان وإعماراً للكون والحياة، فيه الهدى والنور والحق المبين، اشتمل على عقائد وأحكام وتشريعات ونُظُم، يقوم على الخضوع والطاعة والإذعان لله عز وجل، وإفراده بالربوبية والعبادة والحكم والتشريع، مع محبة وتعظيم ورغبة في طاعته وثوابه، وخوف وخشية ورهبة من عصيانه وعقوبته.

والدين والتَّديّن فِطْرَةٌ في الإنسان، فَطَرَ اللهُ الناسَ عليها، خُلِقت معهم، أخذ الله بها الميثاق من عباده على الإقرار بوحدانيته ووجوده، وإفراده بعبادته وإخلاص دينه، ولا تبديل لتلك الفطرة ما لم تتدخل أيدي البشر في تغييرها وانحرافها.

والدين أَصْلٌ في البشرية والنّفس الإنسانية، لا تعرف الوثنية ولا الشرك، ولم تتنكر لخالقها ولا لمعبودها إلَّا بعد أن طَغَتْ وظَلَمَتْ نفسَها وانْحَرَفَتْ عن عبادة ربها، وأَنْكَرَتْ خالقها، ونَسِيَتْ عَهدَهَا ومِيثَاقَها، حتى تَدَنَّسَتْ بظلمات الشرك والكفر.

والدين الحق في القرآن الكريم هو دين الإسلام، دين الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. فهو حقٌّ في عقيدته، وشريعته، وفي أخلاقه، وأنظمته وتشريعاته، لا يخرج الحقُّ عنه وما عداه فهي أديانٌ باطلةٌ لا تُقدّم للبشرية الحق الذي في دين الإسلام ولا تضاهيه أو تدانيه.

ودينُ الإسلام قرَّرَ القرآنُ أنه هو دين الأنبياء والرسل، ودين خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو دين البشرية والعالمين جميعا، نَسَخَ اللهُ به كلَّ ما سبقه من الأديان والشرائع، ولا يقبل من أحد دين غيره، وهو الدين الكامل المكمّل في عقيدته وشريعته والذي ارتضاه الله للبشرية ديناً.

والدين في القرآن دين الله عز وجل، سمَّاه الله، ونَسَبَه إلى نفسه الشريفة، وخصّه باسمه، اشتمل على توحيده، والإخلاص له في العبادة، والإقرار له بالوحدانية والربوبية، وتعظيمه في أسمائه وصفاته، وتضمّن حكمه وأمره ونهيه، وحلاله وحرامه، فهو دين الله ولا دين لله غيره.

وهو الدين الخالص ودين الإخلاص والطاعة والخضوع في كل معاني ومظاهر العبودية الباطنة والظاهرة، خَلُصَ من شائبة الشرك والوثنية، وقام على التوحيد، ودعا إلى التوحيد، وأُنْزِل لأجل التوحيد، ويدور حول التوحيد.

وهو الدين الحنيف ملّة إبراهيم الخليل عليه السلام، كل من تمسّك به، وانتسب إليه، وعمل بما فيه، فهو من الحنفاء ومن أتباع إمام الحنفاء، الذين مالوا بقلوبهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة عن كل شيء سوى الله عز وجل.

وهو الدين القيِّم، ودين الاستقامة، ودين القِيَم ودين الملّة القيّمة، وقرآنه يهدي للتي هي أقوم وأحسن في كل ما جاء به في عقائده وتشريعاته وأحكامه لا اعوجاج فيها ولا تقصير ولا تنقيص، فهو قيّم في ذاته، وقيّم في أحكامه.

فالدين في القرآن الكريم: وحيٌ، وفطرة، وأصلٌ، وإلهيٌّ، وحقٌ، وخالصٌ، وحنيفٌ، وقيّمٌ، وطاعةٌ وخضوعٌ، وحاكمٌ ومُشَرّعٌ، وهو دين الأنبياء والرسل أجمعين.

المبحث الثالث

مقاصد الدِّين في القرآن الكريم

يعتبر علم المقاصد من أهم العلوم التي عنيت بتوضيح مقاصد الشريعة الإسلامية وبيان حِكَم التشريع وغاياته، وقد أطلق الفقهاء والأصوليون على المعاني والحكم التي قصد الشارع إلى تحقيقها من وراء تشريعاته وأحكامه العملية أطلقوا عليها مصطلح "مقاصد الشريعة"[1]، إلّا أن الشريعة التي بعث الله بها محمداً ﷺ جامعة لمصالح الدنيا والآخرة ولا يمكن حصرها في الأحكام الفقهية العملية دون الأمور العقدية، "فالشريعة جامعة لكل ولاية وعمل فيه صلاح الدين والدنيا والشريعة إنما هي كتاب الله وسنة رسوله. وما كان عليه سلف الأمة في العقائد والأحوال والعبادات والأعمال والسياسات والأحكام والولايات والعطيات"[2]. فهناك مقاصد العقيدة الإسلامية ومقاصد الدِّين الإسلامي إسوة بمقاصد الشريعة والأحكام العملية، وإذا بحثنا عن مقاصد الدِّين في القرآن الكريم سنجد أنها مقاصد عامة كليَّة، وضرورية، وحقيقية، وقطعية، تدل على مكانة الدِّين وأهميته والغاية من تنزيله وبعث الأنبياء والرسل به، ويمكن من خلال الاستقراء لتلك المقاصد في آيات التنزيل الحكيم الكشف عنها وإظهار أهميتها وبيان دلالتها.

المطلب الأول: تعريف مقاصد الدِّين وأهمية دراستها:

المقاصد: أصلها من الفعل الثلاثي (ق ص د)، يقصد قصداً، والمقصَد: مصدر ميمي واسم المكان منه: مقصِد، وهو يجمع على مقاصد، وفي اللغة العربية تأتي كلمة "المقصد" على معان مختلفة، منها: الاعتماد والتوجه واستقامة الطريق كما قوله عز وجل:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النحل: ٩]، أي على الله تبيين الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة. ومنها العدل والتوسط وعدم الافراط

---

١. انظر: **مقاصد الشريعة الإسلامية**، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق ومراجعه: محمد الحبيب بن الخوجة (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، ج٢، ص٢١؛ و**نظرية المقاصد عند الشاطبي**، أحمد الريسوني (أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٤، ١٩٩٥م)، ص٧؛ و**مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة التشريعية**، محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي (السعودية: دار الهجرة، ط١، ١٩٩٨م)، ص٣٧؛ **علم المقاصد الشرعية**، نور الدين بن مختار الخادمي (الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م)، ص١٧.

٢. **مجموع الفتاوى**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م)، ج١٩، ص٣٠٨.

والتفريط كما في قوله عز وجل: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾ [لقمان: ١٩]، أي أمشي مشية مستوية[١].

ومقاصد الدِّين: هي الغايات والحكم والمعاني الكليّة الملحوظة التي من أجلها أنزل الله الدِّين وبعث به الأنبياء والمرسلين، سواء كانت تلك المعاني والحكم على مستوى الفرد أو الجماعة أو المجتمع ككل، وهي تهدف إلى تحقيق عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين وإعمار الكون والحياة.

وتم استخلاص هذا المفهوم من خلال النظر في دلالات الدين في القرآن الكريم، وفي الغاية من خَلْقِ الخلق وإرسال الأنبياء والرسل، ومن تنزيه الله عز وجل عن العبث والسُّدَى، واتصافه بالعلم والحكمة، لأن لله تعالى غايات ومقاصد في خلقه وأفعاله وأمره ونهيه على حد سواء، وأن هذه الغايات والمقاصد مرادة لله شرعاً، ومحبوبة له سبحانه لأنها تحقق العبودية له، ولأن فيها صلاح العباد في المعاش والمعاد، وإعمار للكون والحياة والاستخلاف فيهما.

وعلى الرغم من كون حفظ الدِّين مقصداً للشريعة؛ إلا أنه توجد مقاصد كليّة للدِّين، يدعو إلى تحقيقها على مستوى الإنسان والكون والحياة. ولا يمكن أن نغفل عن الهدف والغاية من دعوة الأنبياء والرسل التي تمثَّل بكل وضوح المقصد الأسمى من إنزال الدِّين ومن بعثتهم وإرسالهم إلى أقوامهم بالآيات والبيّنات. ويمكننا أن نستنتج ونستنبط مقاصد الدِّين من خلال نصوص القرآن الكريم حول الدِّين وتحليل معانيه ودلالاته، مع مراعاة الشروط التي لابد من توفرها في المقاصد حتى تُعد مقصداً من مقاصد الدِّين والتي ذكرها الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور في "مقاصد الشريعة" وهي: أن تكون ثابتة، أن تكون ظاهرة، وأن تكون منضبطة، ومطردة[٢].

وتتجلى أهمية دراسة مقاصد الدِّين في كونها تمثّل الغاية الكبرى والهدف الأسمى من إنزال الدِّين ومن دعوة وبعثة الأنبياء والمرسلين إلى أقوامهم وأممهم، وتسعى إلى تحقيق رؤية الدِّين الشاملة لإصلاح الإنسان وتسخير الكون والحياة وخلافة الله في عمارة الأرض، كما تُعد تلك المقاصد من ضروريات الدِّين التي لا يقوم إلا بها ولا

١. انظر: **لسان العرب**، ابن منظور، ج٥، ص٣٦٤٢؛ و**تاج العروس**، الزبيدي، ج٢، ص٤٦٧؛ و**مختار الصحاح**، الرازي، ص٥٣٦.

٢. انظر: **مقاصد الشريعة**، ابن عاشور، ج٢، ص١٦٥-١٦٧.

تخرج عن نطاق دعوته ونظامه، وتعطي نظرة شمولية عامة لطبيعة الدِّين وأهدافه وغاياته التي يقوم عليها ويدعو لها.

المطلب الثاني: مقاصد الدِّين الكليَّة في القرآن الكريم:

للدِّين في القرآن الكريم مقاصد وغايات وحكم، يسعى الدِّين إلى تحقيقها، تمثل جوهره الذي قام عليه وأُنزل من أجلها، وهي من الضروريات والمقاصد اللازمة التي لابد من تحصيلها لكي يقوم صلاح الدِّين والدنيا، لأجل إسعاد الخلق في الدنيا والآخرة. ويمكن حصر هذه الغايات في المقاصد التالية:

أولاً: مَقْصَدُ الأُلُوهِيَّة:

يُعدُّ هذا المقصد أهم مقاصد الدِّين في القرآن الكريم؛ لأنه يُعنى بتحقيق وإقامة التوحيد وإخلاص الدِّين والعبادة لله عز وجل، فالغاية من إنزال الدِّين وإرسال الأنبياء والرسل هو الدعوة إلى هذا المقصد العظيم يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]، وقال عز وجل:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء]، و"لا إله إلا الله" هي كلمة التوحيد التي تعني إخلاص الدِّين والعبادة لله تعالى وحده لا شريك له، "وروح هذه الكلمة وسرها: إفراد الرب – جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره – بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك: من التوكل والإنابة والرغبة والرهبة، فلا يحب سواه، وكل ما كان يحب غيره فإنما يحب تبعا لمحبته، وكونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يخاف سواه، ولا يرجى سواه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يرهب إلا منه، ولا يحلف إلا باسمه، ولا ينظر إلا له، ولا يتاب إلا إليه، ولا يطاع إلا أمره، ولا يتحسب إلا به، ولا يستغاث في الشدائد إلا به، ولا يلتجأ إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يذبح إلا له وباسمه، ويجتمع ذلك في حرف واحد، وهو: أن لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة، فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، ولهذا حرم الله على النار من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة، ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها"[1].

---

١. **الداء والدواء (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)**، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي (مكة: دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ)، ص١٩٦.

ولأهمية هذا المقصد في الدِّين وارتباطه بالإخلاص في العبادة نجد أن القرآن الكريم دائماً ما يأمر بإخلاص الدِّين والعبادة والدعاء له عـــز وجل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر]. ولعلَّ السبب في ذلك نلمسه في قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة]، وفي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٤ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر]، فمن كان خالقاً رازقاً مدبّراً متصرفاً وله كل مظاهر الربوبية ورب العالمين فهو الذي يستحق أن نوحّده بإخلاص الدِّين والعبادة له وحده عز وجل. وليس مقصد الدِّين مجرد إقرار العبد بالربوبية لله تعالى كما هو حال مشركي العرب؛ بل المقصد توحيد الله عز وجل ومحبته والخضوع له، والذلّ له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، الظاهرة والباطنة.

والدعوة إلى هذا المقصد هو الأصل الذي بنيت عليه الملّة الحنيفية؛ فالاهتمام به اهتمام بالأصل، وإذا تدبرنا القرآن الكريم وجدنا أن "القرآن كلُّه في التوحيد وحقوقه وجزائه"[١]، وأن "معاني القرآن دائرة على التوحيد وبراهينه"[٢]، وقد قرَّر الإمام ابن القيم – رحمه الله – "إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد، العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به

١. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م)، ج٣، ص٤١٧.

٢. المصدر السابق، ج١، ص٤٥٠.

في الآخرة، فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد"[1].

كما أن هذا المقصد هو الذي يقوم عليه الدِّين الحنيف، فلا قيام للدِّين ولا إظهار له إلا بإقامة هذا المقصد وتحقيقه في الظاهر والباطن. ولا قبول للشريعة وأحكام الدِّين العملية بدون تحقيق هذا المقصد، ولهذا أول وصية أوصى بها الرسول ﷺ رسوله إلى اليمن معاذ بن جبل ﷺ هي الوصية بالدعوة إلى هذا المقصد العظيم، روى البخاري في صحيحه عن ابْن عَبَّاس ﷺ قَال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[2]، وهذا يدل على مكانة إقامة هذا المقصد وتحقيق الدِّين لله عز وجل وأن كل الأحكام العملية والشعائر التعبدية تأتي تبعاً له وبعد تحقيقه، كما يدل على حقيقة دعوة النبي ﷺ وأنها قائمة على الدعوة إلى التوحيد الخالص لله عز وجل؛ ولهذا بوّب البخاري على هذا الحديث بقوله: "باب ما جاء في دعاء النبي–صلى الله عليه وسلم –أمته إلى توحيد الله– تبارك وتعالى–".

ثانياً: مَقْصَدُ العُبُودِيَّة:

وهذا المقصد يعتبر من لوازم مقصد الألوهية، فإذا كان مقصد الدِّين الأساس هو توحيد الله وإخلاص الدِّين له؛ فيلزم من ذلك تحقيق العبودية لله عز وجل والخضوع والاستسلام لأمره ونهيه، وأتباع شرعه والامتثال لحكمه في جميع الأعمال الظاهرة والباطنة، مع كمال المحبة والخوف والتعظيم، فمن التزم بدينه ورضي بالإسلام الحنيف ديناً فليزمه أن يحقق كامل العبودية لله عز وجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وإنما الدِّين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه وهو تحقيق محبة الله بكل درجة، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت

---

١. المصدر السابق، ج٣، ص٤١٨.

٢. أخرجه البخاري في **صحيحه**، بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الحديث رقم (٧٣٢٧)، ج٩، ص١١٤.

فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك"[1].

والدِّين إنما هو في حقيقة أمره يتضمن معنى الخضوع والذل، "ويدين لله أي: يعبد الله ويطيعه ويخضع له، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له. لكن العبودية الحقة والمأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له. ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له، كما قد يحب ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله"[2].

ومقصد العبودية ينقسم إلى قسمين:

أولهما: العبودية العامة: التي لا مفر منها ولا انفكاك عنها لجميع الخلق والكائنات، والتي تقتضي خضوع كل المخلوقات والكائنات لأمره تعالى ونهيه، ولا أحد يخرج عن عبوديته العامة فلكل عبيده وتحت قدرته ومشيئته وتصرفه إذ هو ربهم كلُّهم ومالكهم وخالقهم، وهذه العبودية هي المعنية بقوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم]، وكلُّهم مستسلم له طوعاً وكرهاً، كما قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران]، "فهو سبحانه رب العالمين، وخالقهم، ورازقهم، ومحييهم، ومميتهم، ومقلب قلوبهم، ومصرف أمورهم، لا رب لهم غيره، ولا مالك لهم سواه، ولا خالق إلا هو، سواء اعترفوا بذلك أو نكروه، وسواء علموا ذلك أو جهلوه؛ لكن أهل الإيمان منهم عرفوا ذلك واعترفوا به، بخلاف من كان جاهلاً بذلك؛ أو جاحداً له مستكبراً على ربه، لا يقر ولا يخضع له، مع علمه بأن الله ربه وخالقه"[3].

وثانيهما: العبودية الخاصة: وهي عبادة خاصة بأوليائه المؤمنين والمتقين والمخلصين، والمتضمنة التسليم والاتباع لأمر الله ورسوله ﷺ والانقياد والامتثال لحكمه وأمره

---

١. **العبودية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٧، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، ص١٢٠.

٢. انظر: المصدر السابق، ص٤٨.

٣. المصدر السابق، ص٥٠-٥١.

ونهيه، وهذه العبادة باختيارهم ومحض إرادتهم، دفعهم إليها الحب والخوف والتعظيم لله عز وجل مع حب الخضوع والذل له.

وهذه العبودية لله عز وجل هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له، التي خلق الخلق لها، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات]، وبها أرسل جميع الرسل، كما قال نوح لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وكذلك قال هود [الأعراف: ٦٥]، وصالح [الأعراف: ٧٣]، وشعيب [الأعراف: ٨٥]، وغيرهم لقومهم. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء]، وجعل ذلك لازماً لرسوله ﷺ إلى الموت كما قال: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر]، وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء]، وذم المستكبرين عنها بقوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر]، ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الإنسان]، وقال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] الآيات[1].

وهذه النصوص الكثيرة وغيرها كلها تؤكد حقيقة مقصد العبودية في الدين، وأن العبودية بمعناها الواسع المتمثل في الطاعة والخضوع والتذلل للمعبود في أحكامه وأمره ونهيه والاستسلام لشرعه مع الحب والخوف والتعظيم واجتناب عبودية غيره أمر أكّد عليه القرآن الكريم في أكثر من موضع؛ لأن حق العبادة والطاعة والخضوع لا يكون لأحد إلا لله تعالى وهذا هو جوهر الدِّين الحنيف، وذمَّ الله من عَبَدَ غيره من الآلهة كالطاغوت والشيطان، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [المائدة:٦٠]، وقال عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ [الزمر: ١٧]، و"المراد بعبادة الطاغوت في كل من هذه الآيات هو العبودية للطاغوت وإطاعته. ومعنى الطاغوت في اصطلاح القرآن كل دولة أو سلطة وكل إمامة أو قيادة تبغي على الله وتتمرد، ثم تنفّذ حكمها في أرضه وتحمل عباده على طاعتها بالإكراه أو بالإغراء

١. انظر: المصدر السابق، ص٤٤-٤٥.

أو بالتعليم الفاسد. فاستسلام المرء لمثل تلك السلطة وتلك الإمامة والزعامة وتعبّده لها ثم طاعته إياها – كل ذلك منه عبادة – ولا شك – للطاغوت!"[1].

كما أخذ الله علينا العهد والميثاق أن نعبده ولا نعبد غيره ولا نخضع لغيره ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة]، "والمراد باتخاذ العلماء والأحبار أرباباً من دون الله ثم عبادتهم في هذه الآية هو الإيمان بكونهم مالكي الأمر والنهي، والإطاعة لأحكامهم بدون سند من عند الله أو الرسول، وقد صرّح بهذا المعنى رسول الله ﷺ نفسه في الأحاديث الصحيحة، فلما قيل له: إننا لم نعبد علماءنا وأحبارنا، قال: ألم تحلوا ما أحلوه وتحرموا ما حرّموه؟"[2][3]. فالعباد خَلْقُ الله تعالى، وهو ربهم ومالكهم وخالقهم، والمتفضّل عليهم بالنعم بالليل والنهار، فله حق العبادة وإخلاص الدِّين له سبحانه وتعالى، وهذا الذي أمرهم به ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[التوبة: ٣١]، ونهاهم عن عبادة غيره، ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [غافر: ٦٦]، وفي تحقيق هذا الأمر والقيام بهذا المقصد سبب في سعادة العباد في الدنيا وفلاحهم في الآخرة.

---

١. **المصطلحات الأربعة في القرآن**، أبو الأعلى المودودي، تعريب: محمد كاظم سباق، تقديم: محمد عاصم الحداد، تخريج: محمد ناصر الدين الالباني (الكويت: دار القلم، ط٨، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م)، ص٦٣.

٢. يقصد الحديث الذي أخرجه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله"، عن عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ فَقَالَ لِي: " يَا عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ: «أَلْقِ هَذَا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ» . وَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ بَرَاءَةَ حَتَّى أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة: ٣١] قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّا لَمْ نَتَّخِذْهُمْ أَرْبَابًا، [ص:٩٧٦] قَالَ: «بَلَى، أَلَيْسَ يُحِلُّونَ لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فَتُحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْكُمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ فَتُحَرِّمُونَهُ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «تِلْكَ عِبَادَتُهُمْ». انظر: ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري (السعودية: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، بَابُ فَسَادِ التَّقْلِيدِ وَنَفْيِهِ وَالْفَرْقِ بَيْنَ التَّقْلِيدِ وَالِاتِّبَاعِ، حديث رقم (١٨٦٢)، ج٢، ص٩٧٥.

٣. **المصطلحات الأربعة**، المودودي، ص٦٤.

ثالثاً: مَقْصَدُ الحاكميَّة:

الحاكميَّة وسياسة الأمة والعباد وفق السياسة الشرعية للدِّين الحنيف مقصدٌ ركّز عليه القرآن في ثنايا حديثه عن الإسلام والإيمان. ومعلوم سابقاً أنّ من معاني الدِّين التي دل عليها القرآن الكريم: الحكم والسياسة والسلطان؛ ولهذا يُسمى الله عز وجل بالدّيّان أي الحاكم القاضي. والدِّين لا يستقيم عُوده، ولا تثبت أركانه، ولا يُطبَّق شرعه، ولا ينفّذ حكمه وأمره، إلا بسياسة وحكم وسلطان فإن الله ينزع بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن، قال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾ [يوسف: ٤٠]، فالقرآن جعل "الدِّين القيّم" المستقيم يقوم على أمرين عظيمين هما: الحاكميَّة، والعبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى. فلا يستقيم الدِّين إلا بأن يكون الله معبوداً وحاكماً على خلقه وفي ملكه وسلطانه.

والقرآن الكريم أكّد في مواضع من آياته على قضية الحاكمية وسياسة الأمة ورَبَطَها بمفهوم الألوهية له وحده عز وجل الذي أكدنا عليه في المقصد الأول، فالإله الخالق الرب الحاكم المالك هو الذي يحكم ويملك وله حق السيادة والتشريع، قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠ ﴾ [القصص]، وقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦ ﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢ ﴾ [الفرقان]. "فالذي يستدل به القرآن في هذا الشأن هو أنه لا يملك جميع السلطات والصلاحيات في السماوات والأرض إلا الله. فالخلق مختصٌّ به، والنعمة كلها بيده، والأمر له وحده، والقوة والحول في قبضته، وكل ما في السماوات والأرض قانت له ومطيع لأمره طوعاً وكرهاً، ولا سلطة لأحد سواه ولا ينفذ فيها الحكم لأحد غيره، وما من أحد دونه يعرف أسرار الخلق والنظم والتدبير، أو يشاركه في صلاحيات حكمه. ومن ثم لا إله في حقيقة الأمر إلا هو"[١].

وهذه الآيات وغيرها كلُّها تؤكد على فكرة رئيسة واحدة لها ارتباطها بحقيقة مقصد الألوهية في الدِّين وعلاقتها بالدعوة إلى الحاكمية والسيادة والحق في التشريع والسلطة "ألا وهي أن كلاً من الألوهية والسلطة تستلزم الأخرى وأنه لا فرق بينهما من حيث المعنى والروح. فالذي لا سلطة له، لا يمكن أن يكون إلهاً ولا ينبغي أن يتخذ إلهاً. وأما

١. **المصطلحات الأربعة**، المودودي، ص١٦.

من يملك السلطة فهو الذي يجوز أن يكون إلهاً وهو وحده ينبغي أن يتخذ إلهاً. ذلك بأن جميع حاجات المرء التي تتعلق بالإله أو التي يضطر المرء لأجلها أن يتخذ أحداً إلهاً له لا يمكن قضاء شيء منها من دون وجود السلطة. ولذلك لا معنى لألوهية من لا سلطة له، فإن ذلك أيضاً مخالف للحقيقة، ومن النفخ في الرماد أن يرجع إليه المرء ويرجو منه شيئاً"[1].

وبناءً على هذه العلاقة بين مفهوم الوهية الله وحده وقضية الحكم والسلطة أكد القرآن الكريم على أن الحاكمية لله وحده والتشريع له وحده، ولا يحق لأحد أن يجعل من نفسه حاكماً ومشرّعاً معه جل جلاله، قال تعالى:﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة]، فهناك حكمان لا ثالث لهما: حكم الله، وحكم الجاهلية، فمن لم يحكم بحكم الله فهـــو بالضرورة يحكم بحكم الجاهلية لا غير والله خير الحاكمين. وقال تعالى:﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١]. وقال سبحانه:﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام:٥٧]، وقال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ [الأنعام:٦٢].

وإذا كان الله هو الحاكم المشرّع وله الحكم وحده سبحانه فوجب حينئذ أن نحكم بشرعه ونطبق أحكامه ولا يجوز الخروج عليها أو ردّها؛ لأن ذلك ينافي الإيمان بالله والاستسلام لأمره وحكمه، بل وينافي المقصد من نزول الدين كما قال تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة:٤٨]، وقال عز وجل: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة:٤٩]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، وقال سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور].

والآيات كثيرة في القرآن التي تدل على أن الغاية والمقصد من نزول الدين هو ليكون حاكماً ومشرّعاً وله السيادة المطلقة في حق التشريع، وأن واجب المؤمنين هو القبول والرضى والتسليم لحكمه وشرعه وأمره وأن ذلك من صفات التي يُمدَحون بها، وأنَّ الأعراض عن حكمه وشرعه من صفات الكافرين والظالمين والفاسقين.

---

١. المصدر السابق، ص١٨.

ولأهمية هذا المقصد في الدِّين كانت سياسة الأمة والحكم بينها هو دأب الأنبياء والمرسلين ومن صميم دعوتهم ووظيفتهم، وتبليغ رسالتهم، قال تعالى مخاطباً رسوله محمد ﷺ: ﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [المائدة]. وخاطب نبيه داوود عليه الصلاة والسلام بقوله:﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦]. وكانت أنبياء بنو إسرائيل يتوارثون الحكم بالتوراة في بني إسرائيل، قال الله تعالى عنهم: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ﴾ [المائدة:٤٤]. وجاء في الحديث: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي»[1].

رابعاً: مَقْصَدُ الإصْلاَح:

الدِّين منظومة ربانيَّة متكاملة لا تقتصر على جانب دون آخر، والدِّين له علاقة وارتباط وثيق بكل ما يخص الإنسان سواء بعلاقته بربه عز وجل أو بعلاقته بمجتمعه أو بمن حوله من أفراد المجتمع، ومن أهم المقاصد التي يدعو إليها الدِّين الحنيف هو الدعوة إلى الإصلاح الشامل الواسع في معناه ومدلوله، فهو يدعو إلى إصلاح الإنسان واستقامته على الهدى والخير في الظاهر والباطن، وفي علاقته بربه وبالآخرين ممن حوله، كما يدعو إلى إصلاح المجتمع والحياة والنفس الإنسانية وفق رؤية متكاملة من النظم والتشريعات على مستوى الفرد والجماعة. فهو دعوة إصلاحيّة شاملة للإنسان والكون والحياة. ولهذا جعل الله مقاصد الدِّين كأنها تنحصر في مقصد الإصلاح في قوله تعالى: ﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [هود:٨٨]. أي: "ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي، شيء بحسب استطاعتي"[2] بل بحول الله وتوفيقه.

---

١. أخرجه البخاري في **صحيحه**، عن أبي هريرة ﷺ، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حديث رقم (٣٤٥٥)، ج٤، ص١٦٩؛ ومسلم في **صحيحه**، عن أبي هريرة ﷺ، بَابُ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ، الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، حديث رقم (١٨٤٢)، ج٣، ص١٤٧١.

٢. **تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، ص٣٨٧.

ولعل من أبرز ما يلفت انتباهنا إلى هذا المقصد في القرآن الكريم ما أطلقه الله على الدِّين من ألقاب وصفات بأنه "حق" و "قيّم"، فالدِّين الحق لا تقتصر الحقيّة فيه على جانب التعبد والاعتقاد بل هو أيضاً حق في الأخلاق والآداب وتزكية النفس التي يدعو إليها، وحق في نُظمه وتشريعاته التي تدعو إلى إصلاح المجتمع. كما أنه دين قيّم مستقيم في عقيدته وشريعته ومنهجه ودعوته فلا اعوجاج فيها ولا انقطاع. والاستقامة في الدِّين قِيمَةٌ اخلاقيةٌ وسلوكيةٌ أثنى عليها القرآن وحثَّ على التحلي بها، وذكر فضلها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت]، والاستقامة تشمل استقامة الظاهر والباطن بأخلاق وآداب ومعتقد الدِّين الحنيف.

والصلاح ضد الفساد، قال الراغب الأصفهاني في معجمه "المفردات في غريب القرآن "في مادة صلح: "الصلاح ضد الفساد، وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة، قال تعالى : ﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ [التوبة:١٠٢]، وقال:﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف:٥٦]. وقال في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [يونس:٨١]، أي: المفسد يضادُّ الله في فعله، فإنه يفسد والله تعالى يتحرى في جميع أفعاله الصلاح، فهو – إذًا – لا يصلح عمله"[1].

وحيث أن الإصلاح أحد مقاصد الدِّين ولا يتم إلا بالقضاء على الفساد؛ نهى الإسلام عن الفساد في الأرض وحذّر منه، وذم فاعله، وامتدح الناهين عنه، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف:٥٦]، وقال تعالى:﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص]، وقال عز وجل:﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة]، وقرن تعالى الفساد في الأرض بقتل النفس البشرية البريئة وتقطيع الأرحام وصلة الأقارب، فقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة:٣٢]،

---

١. **المفردات في غريب القرآن**، الأصفهاني، ص٤٨٩.

وقال في سورة محمد ﷺ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد].

ولتحقيق **الإصلاح المجتمعي** أمر الله عز وجل بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخصوصاً عندما يستشري الفساد ويظهر في المجتمع بما كسبت أيدي الناس، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران]، وأثنى الله على الذين ينهون عن الفساد وامتدح صنيعهم من أهل الخير الذي يدعون إلى الهدى، وينهون عن الفساد والردى، فقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [هود:١٦]، ولم يكتف الحق تبارك وتعالى بأن يكون الشخص صالحاً في نفسه بينما يرى المجتمع يغرق في فساده بل أمر بأن يكون صالحاً في نفسه ومصلحاً لغيره ومجتمعه وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود]

كما نهى الشارع عن الفواحش والمعاصي والإثم والشرك بالله كونها من أعظم مسببات الفساد في الدِّين والدنيا، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف].

وأعظم إصلاح أمر الله به هو **الإصلاح الديني والعقدي** من الكفر ونجاسة الشرك بالتوحيد وإخلاص الدِّين لله تعالى كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء:٣٦]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة:٢٨].

كما أمر **بالإصلاح النفسي**، وتزكية النفس الإنسانية وتهذيبها بالطاعة والعمل الصالح والاستقامة في الظاهر والباطن فقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات]. وأقسم الله بأطول قسم في القرآن من أجل الأمر بتزكية النفس، والنهي إفسادها، فقال تعالى في سورة "الشمس": ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس].

وامتنَّ الله على عباده بأن جعل من أهداف دعوة النبي محمد ﷺ تزكية النفس والأخلاق، فقال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمعة].

ومن الإصلاح النفسي **الإصلاح الأخلاقي والسلوكي** والأمر بالتحلي بالآداب ومحاسن الأخلاق والنهي عن سفاسفها وأراذلها؛ ولهذا ذكر الله تعالى في القرآن صفات المؤمنين الاخلاقية والسلوكية في أكثر من سورة كما في سورة [الحجرات]، و[الإسراء]، و[المؤمنون] وغيرها، وفي الحديث يقول ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ (وفي رواية: صَالِحَ) الْأَخْلَاقِ»[1]، كأنه حصر دعوته في إتمام مكارم وصالح الأخلاق ومحاسن الآداب.

كما دعا إلى **الإصلاح العقلي والفكري** بالدعوة إلى التفكر وإعمال العقل بالتأمل والنظر والاعتبار بالمخلوقات وحوادث الدهر، ونبذ التعصب والتقليد، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزخرف].

ومقصد الإصلاح ومحاربة الفساد بأنواعه المختلفة درج عليه الأنبياء والمرسلين عبر العصور في دعوتهم لأقوامهم، فإن الله أمر بالصلاح ونهى عن الفساد وبعث رسله بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها. و"قد كان كلُّ رسول يدعو قومه إلى الصراط المستقيم، ويبيِّنه لهم ويهديهم إليه، وهذا أمر متفق عليه بين الرسل جميعاً، ثم كُلُّ رسول يقوِّم الانحراف الحادث في عصره ومصره، فالانحراف عن الصراط المستقيم لا يحصره ضابط وهو يتمثل في أشكال مختلفة، وكلُّ رسول يُعنى بتقويم الانحراف الموجود في عصره، فنوح أنكر على قومه عبادة الأصنام، وكذلك إبراهيم، وهود أنكر على قومه الاستعلاء في الأرض والتجبّر فيها، وصالح أنكر عليهم الإفساد

---

١. الحديث رواه أبو هريرة ﷺ، وأخرجه البخاري في **الأدب المفرد**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٣، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، حديث رقم (٢٧٣)، ص١٠٤، وصححه الألباني في **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، برقم (٤٥)، ج١، ص١١٢.

في الأرض واتباع المفسدين، ولوط حارب جريمة اللواط التي استشرت في قومه، وشعيب قاوم في قومه جريمة التطفيف في الميكال والميزان"[1]، وهكذا كانت دعوة الأنبياء والمرسلين تمثل دعوة إصلاحية شاملة لكل فساد ديني وأخلاقي وسلوكي ومجتمعي.

١. **الرسل والرسالات**، عمر بن سليمان الأشقر (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ودار النفائس للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م)، ص٥١.

الخاتمة

الدين في القرآن الكريم يمثل منهج حياة، واضح المعالم وجلي المقاصد والمعاني، إنه في العرف القرآني يمثل الماضي الذي عاشه الأنبياء والرسل مع أقوامهم وأممهم، والحاضر الذي ينبغي أن نعيشه وفق منهجية محددة الأحكام والمقاصد، والمستقبل الذي أنار لنا طريقه وبشرنا بعاقبة المستقبل وميراثه. لقد أولى القرآنُ الكريم الدينَ اهتمامه الواضح في ثنايا آياته العطرة، وأحكامه النيّرة؛ بل هو القرآن كلُّه في توحيده وتشريعاته وآدابه وأخلاقه ومقاصده ومعانيه ودلالاته، توسّع في معانيه اللغوية ليُدلِّل على عمق لغته وغِنى مفرداتها، وأصالة اللغة التي نزل بها، وركّز في بُعْدِه الاصطلاحي ليشمل معاني ذات دلالة وبُعْداً أشمل من مجرد تعابير لغوية وطقوس دينية وشعائر تعبدية، وتَبنّى في مقاصده مُثُل عُليا، وحِكَم نبيله، ومعانٍ فريدة. ليدل كلّ ذلك على علو مكانة الدين وعظيم منزلته في العرف القرآني.

فالدين من حيث المعاني اللغوية في القرآن الكريم تدلُّ على: الحساب والجزاء وهو المعنى الأصيل للدين في اللغة والقرآن، والطاعة والعبودية، والحكم والقضاء والسلطان، والخضوع والتذلل، ودين الإسلام والملة والشريعة، والقرآن والسنن والفرائض والأحكام، وما يدين الإنسان به ويعتقده من دين واعتقاد باطل.

ومن حيث المعنى الاصطلاحي العام للدين في القرآن الكريم فله معانٍ واسعة ودلالات عميقة فهو يدل على: أن الدين وحي إلهي وتديّن فطري، مصدره نزل به الوحي من عند الله تعالى وليس من اختراع ونشأت العقل البشري، كما أنه فطرة وخِلْقَة في النفس البشرية وُلِدَت عليها وعَرفَت خالقها ومعبودها عندما كانت في عالم الذر والغيب.

ويدل الدين في القرآن الكريم على أن الأصل في البشرية أنها خُلِقت على دين الفطرة والتوحيد، وعبادة خالقها وربها ومالكها، ولم تعرف الشرك والوثنية إلّا بعد أن انتكست فطرتها وضعف دينها وفسد عقلها فانحرفت عن دين التوحيد والفطرة إلى دين الشرك الوثنية.

والدين في القرآن الكريم منه ما هو حقٌّ ومنه ما هو باطلٌ، أما الدين الحق فهو ما كان فيه المعبود رب السموات والأرض رب العالمين، الذي نزل الدين من عنده سبحانه وتعالى على أنبيائه ورسله. وأما الدين الباطل فهو ما كان مصدره من اختراع البشر وإلهه المخلوق الذي صنعه العقل البشري سواء كان إله واحداً أو متعدد.

وحصر القرآن الكريم الدين الحق، والدين المقبول، والدين المرضي، في دين الإسلام، بعقيدته وشريعته، وبمفهومه العام والخاص، الإسلام العام هو دين الأنبياء والرسل

جميعا فكلُّهم بعثوا بمِلّة واحدة ودين واحد، وإن اختلفت شرائعهم. والإسلام الخاص هو دين خاتم الأنبياء والرسل نبينا محمد ﷺ الذي شمل العقيدة والشريعة الخاتمة والناسخة لما قبلها من الشرائع ولا يقبل من أحد دين غيره.

وللدين في القرآن الكريم خصائص وصفات، تميّزه عن غيره من الأديان، فهو دين الله تبارك وتعالى الذي نَسَبَهُ إلى نفسه الشريفة مبالغة في التشريف والتعظيم ليُدَلِّل على مصدره الإلهي ومنبعه السماوي، وهو دين الحنيفية السمحة الطاهرة النقيَّة من أوضار الشرك والوثنية والمتزيّنة بحُلّة التوحيد وإخلاص العبادة لرب العالمين، وهو الدين القيّم والمستقيم في قِيَمه وأحكامه وتشريعاته وعقيدته، وهو الدين الخالص الذي قام على إخلاص العبودية لمستحق العبادة وحده لا شريك له، وهو الدين الحق الذي لا يخرج الحق عن عقيدته وشريعته البتّة.

والدين في القرآن الكريم له مقاصد وحكم ومعانٍ جليلة تدل على عظمته وشموليته وربانيَّته منها: ومَقْصَدُ الألوهية وإفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، ومَقْصَدُ العبودية والتذلل والخضوع والطاعة لرب العالمين وعدم الخروج عن أمره ونهيه والاستسلام لحكمه، ومَقْصَدُ الحاكميَّة ليبقى له الخلق والأمر والنهي والسيادة في الحكم والتشريع والطاعة والانقياد والتسليم والرضى بحكمه وشرعه، ومَقْصَدُ الإصلاح فهو دعوة إصلاحية شاملة للإنسان في نفسه وأخلاقه وآدابه وتديّنه وفكره وعقله، وإعمار للكون والحياة، وناهياً عن الفساد بكل أشكاله وصوره محذراً من عواقبه ونتائجه.

المصادر والمراجع

١. **الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان**، بكر بن عبد الله أبو زيد (الرياض: دار العاصمة، ط١، ١٤١٧هـ).

٢. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)

٣. **بحوث في مقارنة الأديان**، أحمد عبد الرحيم السايح (الدوحة: دار الثقافة، د ط، د ت)، ص: ٢٥.

٤. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد بن محمد الحسيني المرتضى الزبيدي، تحقيق: مصطفى حجازي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م)، مادة (د ي ن).

٥. **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، محمد الطاهر بن عاشور (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).

٦. **التحفة العراقية في الأعمال القلبية**، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (القاهرة: الطبعة السلفية، ط٢، ١٣٩٩هـ).

٧. **التعريفات**، علي بن محمد الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، ص١٠٥.

٨. **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، محمد رشيد رضا (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م)

٩. **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٩هـ).

١٠. **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م)

١١. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م).

١٢. **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ ،٢٠٠٠م).

١٣. **الداء والدواء (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)**، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي (مكة: دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ)
١٤. **دعوة التقريب بين الأديان**، أحمد بن عبدالرحمن القاضي (الرياض: دار ابن الجوزي د ط، د ت)
١٥. **الرسل والرسالات**، عمر بن سليمان الأشقر (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ودار النفائس للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م).
١٦. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (بيروت: دار المعرفة، د ط، ١٣٩٨هـ،١٩٧٨م)
١٧. **العبودية**، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٧، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)
١٨. **علم المقاصد الشرعية**، نور الدين بن مختار الخادمي (الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م).
١٩. **غريب القرآن**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر (دار الكتب العلمية: د ط، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م).
٢٠. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب (بيروت: دار المعرفة، د ط، ١٣٧٩هـ).
٢١. **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤هـ).
٢٢. **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أيوب بن موسى الحسيني أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة، د ط، د ت).
٢٣. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ).
٢٤. **مجمل اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦م).
٢٥. **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م).

٢٦. **محاسن التأويل**، محمد بن محمد بن قاسم القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلميه، ط١، ١٤١٨هـ)
٢٧. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ).
٢٨. **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر الرازي الحنفي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد (بيروت، صيدا: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م).
٢٩. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م)
٣٠. **مدخل لدراسة الأديان**، عبدالله علي سمك (مكة المكرمة: دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع، د ط، د ت).
٣١. **مدخل جديد إلى فلسفة الدين**، مصطفى النشار (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط٢، ٢٠١٥م).
٣٢. **المصطلحات الأربعة في القرآن**، أبو الأعلى المودودي، تعريب: محمد كاظم سباق، تقديم: محمد عاصم الحداد، تخريج: محمد ناصر الدين الالباني (الكويت: دار القلم، ط٨، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م)
٣٣. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، الحسين بن مسعود البغوي الفراء، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ).
٣٤. **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م).
٣٥. **المعجم الفلسفي**، جميل صليبا (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٧١م).
٣٦. **مفاتيح الغيب التفسير الكبير**، محمد بن عمر فخر الدين الرازي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ).
٣٧. **المفردات في غريب القرآن**، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي (دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ)، ص٧٧٣
٣٨. **مقاصد الشريعة الإسلامية**، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق ومراجعه: محمد الحبيب ابن الخوجة (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م).

٣٩. **مَقَاصِدُ المُكَلفينَ فيمَا يُتعَبَّدُ به لِرَبِّ العَالمين**، عمر بن سليمان الأشقر (الكويت: مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠١هـ،١٩٨١م)

٤٠. **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، محمد علي حامد التهانوي الحنفي، تحقيق: علي دحروج (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦م)، ج١، ص٨١٤.

٤١. **نشأة الدِّين النظريات التطويرية والمؤلهة**، علي النشار (القاهرة: دار السلام، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م).

٤٢. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، د ط، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م).

٤٣. **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد الحاج (جدة: دار القلم، دار الشامية، ط١، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م).